منهج الصوفية في بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية
دراسة تحليلية .

د. عصام كمال عبده محمد المصري

أستاذ مساعد فلسفة الأخلاق
بكلية الآداب جامعة دمنهور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة الدراسة .

الحمد لله الكريم التواب، اللطيفُ الوهاب، الذي لا يقبل من أعمالنا إلا ما صفا منها وطاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مرشد العالم إلي طريق الهدي والصواب وبعد... يعد منهج الصوفية في جوهره منهجاً روحياً مفعماً بصدق العاطفة، وإخلاص التوجه إلى الله- سبحانه وتعالي - وعمق الإيمان، لهذا كانت الشريعة المتمثلة في القرآن الكريم، والسنة الشريفة عماد هذا المنهج، وكان التجرد من علائق الدنيا وشهواتها منطلقاً للصوفي في رحلته الروحية؛ لبناء الشخصية الأخلاقية، ومن هنا كان لهذا المنهج طابعه العملي السلوكي، والأخلاقي للفرد وللمجتمع .

لقد أدرك الصوفية أن الإسلام في جوهره أخلاق بين العبد وربه، وبين العبد ونفسه، وبينه وبين مجتمعه؛ لأن الإيمان بالله لا يلتقي مع أخلاق الكذب، والرياء، والانسياق وراء الشهوات، فكان لابد للعبد أن يطهر قلبه من هذه الأخلاق المذمومة؛ ليكون إيمانه إيماناً صحيحاً، فوجهوا اهتمامهم إلى القيم الأخلاقية، وذهبوا إلى أن أي علم لا يقترن بخشية الله لا جدوى منه . فكانت الأخلاق من أهم ثمار التصوف . هذا وبالنظر إلى مقامات الصوفية نجدها مرآة تعكس فلسفتهم الأخلاقية، فالصبر، والتوكل، والشكر ... وغيرها في جوهرها قيم ومقامات أخلاقية، يجاهد الصوفي نفسه للتحقق بها بمجاهداته الروحية، فتتجلى في سلوكه في المجتمع .

إن التصوف في حقيقته كان مرآةً للقيم الإسلامية في صورتها النقية، وقيمها الروحية، عندما تجلت فيه الأخلاق الكريمة باعتباره "تخلية وتحلية" ، خاصة وأن تعريف الصوفية للأخلاق يتمحور حول الأعمال القلبية؛ لأن الخُلُق في حقيقته يتعلق بصورة الإنسان الباطنية نفسه باعتبار الخُلُق : طبعاً، وسجية .

إن منهج الصوفية الأخلاقي في بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية ينطلق من مُسَلَّمَةِ قابليةِ الأخلاق للتغيير والتهذيب . ومن هنا كانت الأخلاق عند الصوفية تهذيب للنفس؛ من أجل تحقيق السمو إلى مراتب الكمال الخلقي عن طريق المجاهدة . فالتخلق بالصفات الحميدة يستوجب تنقية النفس من شوائبها، وتجريدها من الرذائل، مما يعني أن الأخلاق بالمعنى الصوفي هي ضبط النفس وتوجيهها بإرادة ذاتية . **لذا جاءت هذه الدراسة محاولة للتعرف على منهج الصوفية في بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية دراسة تحليلية .**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- موضوع الدراسة :

يروم هذا البحث إلى إضاءة جانب جوهري في منهج الصوفية الأخلاقي؛ لبناء شخصية الإنسان ينقلنا إلي أبعاد فلسفية، واجتماعية علي حد سواء؛ ليعكس تجربة في بعدها الروحاني، ويختزل نظاماً معرفياً وأخلاقياً قائماً بذاته، حيث يصبح التطهير الداخلي المتمثل في "**المجاهدة الصوفية**" منهاجاً؛ من أجل ضبط السلوك والغرائز، وتوجيه الإنسان إلى التحلي بالفضائل والأخلاق، فتصبح المجاهدة حالة للنفس تمارس التصفية الدائمة " **بفعل الذات**" من أجل الارتقاء والسمو . وبما أن التصوف سلوك يقوم على تجربة ذاتية تنطلق من وعي خاص يكون فيه للوجدان والقلب دور رئيس وفاعل، **حرص الصوفية على موافقة الظاهر مع الباطن باعتبار العلم باعثاً على العمل، كما حرصوا من خلال خطابهم الصوفي على إصلاح الباطن؛ من أجل إصلاح السلوك الأخلاقي، وتوجيه المجتمع إلى ما فيه الخير والصلاح .**

- أهمية الدراسة :

تعود أهمية هذه الدراسة إلي بيان منهج الصوفية في بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية فتتجلى للجميع الإرادة للذات الإنسانية كقوة تملك إمكانات الضبط، والتغيير، والتوجيه، والارتقاء . ومن هنا تبدو الحكمة ميزاناً ذاتياً يضبط سلوك الإنسان ويوجهه، فيظهر لنا التصوف كفلسفة للأخلاق تقوم على الفضائل الخلقية والضبط الذاتي، وفي هذا المعنى يشير **الغزالي إلى أن الحكمة الخلقية تقوم على أسس هي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل، ومن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الحسنة .**

كما تعود أهمية هذه الدراسة إلي الحاجة الماسة لكل إنسان إلي ضبط سلوكه وتزكية أخلاقه في زمن طغت فيه المادة، وأصبح الإنسان في أزمة أخلاقية يكاد ينهار ويتبع تيارات الإغراء والإفساد التي لم يدخر أهلها جهداً في نشرها، وكذلك – أيضاً – الإهمال الشديد لهذا الباب العظيم من أبواب الوصول إلي الله تعالي بصدق وإخلاص ضمن منهج صوفي أخلاقي .

كما تأتي أهمية هذا البحث بأنه يختص في حفظ الأخلاق من أخطار الغزو الثقافي والأخلاقي الذي يمارسه أعداء الإسلام بجد ونشاط، مما يجعلنا في أحوج ما نكون إلي رفع راية هذا المنهج العظيم؛ ليستظل به المسلمون، وخاصة شبابهم فيحافظون علي سلوكهم، وأخلاقهم، وفي ذلك حفاظاً علي دينهم كله، **فأهمية هذه الدراسة تعود إلي بيان**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منهج التصوف في بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية التي نحن في أمس الحاجة إليها . ويمكن القول : إن ما يميز هذه الدراسة من وجهة نظر الباحث أنها تتناول الموضوع بتفصيل شامل، وتلم بجميع وجوهه وجوانبه، وتؤلف بين شتاته في مكان واحد، ما استطاع الباحث إلى ذلك سبيلا .

ويمكن القول : إنه من خلال أقوال الصوفية يتجلى منهج الصوفية الأخلاقي، والذي يتأسس على التخلق بالصفات الروحانية، وتنقية النفس من الضغائن والأحقاد، والالتزام بالتكاليف الشرعية، ومخالفة هوى النفس؛ للتحلي بالكمال الخلقي. وهو منهج يدفع بالتغيير الإيجابي في المجتمع بواسطة التأكيد علي الناحية الخلقية للفرد، وهو ما نحن في أمس الحاجة إليه، وباعث هذا الحرص على الكمال الخلقي عند الصوفية : حق الله، وحق الإنسان لنفسه، وحق الخلق، فالحق الذي لله أن يعبدوه، وحق الإنسان لنفسه ألا يسلك بها إلا الطرق التي فيها سعادتها ونجاتها، فإن النفس الأبية إنما يحملها على إتيان الأخلاق الفاضلة دين أو مروءة . والحق الذي للخلق عليهم كف الأذى كله عنهم واحتماله .

- إشكالية الدراسة :

سيكون محور هذه الدراسة هو محاولة الإجابة عن التساؤل المحوري التالي :

- **ما منهج الصوفية في بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية ؟ وتتطلب الإجابة عن هذا السؤال، الإجابة عن بعض الأسئلة الفرعية، وهي :**

– ما البعد الأخلاقي عند الصوفية لبناء الشخصية الإسلامية ؟ كيف كانت المجاهدة من طرق الصوفية في بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية ؟ ما ضرورة المجاهدة ؟ ما طرق المجاهدة ؟ ما حقيقة الأحوال والمقامات كمنهج من مناهج الصوفية في بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية ؟ ما حقيقة التصوف بين الرأي والرأي الآخر ؟

- أهداف الدراسة :

عني التصوف لدى جمهور الدارسين ببحوث كثيرة من جوانب متعددة، فانصبت جهودهم نحو سير المتصوفة، وهو ما يظهر في المصنفات التي تؤرخ لطبقات الصوفية وتراجمهم، كما انكبوا يدرسون ظواهر التصوف كالفناء، والاتحاد، والحلول، وتتوجه هذه الدراسة إلى منحى آخر من مناحي البحث، وتختص بدراسة بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية عند الصوفية، وليس اختيارنا لهذه الزاوية محض الصدفة، وإنما بحث عن وضعه في مجس الاختبار لمعرفة مدى مشاركة الصوفية في الحياة الفعلية، ودور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التصوف في تشكيل معالم الحضارة التي ينتمي إليها، وبناء القيم الإنسانية، ويمكن التوصل إلى ملاحظة مختلف الأنماط التي يتحرك التصوف بداخلها، ومعرفة نوعية السلوك الصوفي، ومن ثم تتحدد أهداف هذه الدراسة في تحديد البعد الأخلاقي عند الصوفية، كواقع متجذّر في مجتمعنا الإسلامي، وتحديد مفهوم المجاهدة كمنهج لبناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية، وتحديد أهمية المجاهدة وطرقها، وتعديل الرؤى المناوئة للتصوف القائمة على رفض أطروحاته الفكرية، ونفي دوره في النهوض بالأمة حضارياً، وهي مناسبة انطلق منها لتأكيد فرضية أن التصوف عامل ازدهار وتقدم، لا عامل تخلف وتأخر، ومن ثم تحديد حقيقة الأحوال والمقامات كمنهج من مناهج الصوفية في بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية، وأخيراً تحديد حقيقة التصوف بين الرأي والرأي الآخر، **وهو ما يُكتشف من صميم العناصر المشار إليها .**

هذا وتتجسد أهداف البحث في محاولة الإجابة عن التساؤلات الواردة في مشكلة البحث، وبما يتفق مع الأهمية العلمية والتطبيقية له والتي تتلخص فيما يلي :

- تحديد البعد الأخلاقي عند الصوفية، تحديد مفهوم المجاهدة كمنهج للصوفية في بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية، تحديد أهمية المجاهدة وطرقها، تحديد حقيقة الأحوال والمقامات كمنهج من مناهج الصوفية في بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية، تحديد حقيقة التصوف بين الرأي والرأي الآخر .

- خطة الدراسة :

تتناول هذه الدراسة المباحث التالية : المبحث الأول وعنوانه : المجاهدة وبداية السلوك الأخلاقي، وأما المبحث الثاني فعنوانه: منهج التصوف وضرورة المجاهدة، وأما المبحث الثالث فعنوانه : منهج التصوف وطرق المجاهدة، وأما المبحث الرابع فعنوانه : منهج التصوف وبناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية، وأخيراً المبحث الخامس وعنوانه : التصوف الإسلامي بين الرأي والرأي والآخر . ثم نتائج الدراسة، ومراجع البحث .

- منهج الدراسة :

إذا كانت مناهج البحث تتنوع وفقاً للموضوع المراد دراسته، فإن المنهج الذي **استخدمه الباحث** في هذه الدراسة هو **المنهج التحليلي، والمنهج المقارن**، حيث يعتمد هذا المنهج على تحليل الظواهر ذات العلاقة بالدراسة، ومن ثم إجراء المقارنات للخروج بالنتائج المناسبة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعد .... هذه دراسة في منهج الصوفية في بناء الشخصية الأخلاقيـــة الإســـلامية، دراسة تحليلية . **لا يزعم الباحث أنه قد سبق بها الأوائل، ولا يدَّعي أنه قال ما لم يقلـــه الآخرون، ولكنها محاولةُ منه، خطَّتها يد باحث يبحث عن إرساء قـــيم أخلاقيـــة تـــسعي لبناء الشخصية الإنسانية، قد تكون خطأ، وقد تكون صواباً، وقـــد تكـــون مزيجـــاً مـــن كليهما، ولكني أُشهِد الله أني ما حملت حين كتبت – إن كنت قد حملت – تعنتاً وبغـــضاً، ولا دافعت – إن كنت قد دافعت – تعصباً وحباً، ولكن الحق أردت، والـــصواب توخيـــت، وإنما الأعمال بالنيات، ولكل أمريء ما نوى . والله أسأل أن أكون قد وفقت فيما قدمت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيد:

"لقد كان نشوء التصوف رداً علي انحراف ميزان المجتمع الإسلامي بشدة نحو المادة، ونحو الدنيا وزينتها، علي عكس ما أمر به النبي صلي الله عليه وسلم، وقد نجح في إيقاف السيل الجارف، أو الحد من قوته في كثير من الأحيان . ووقف كثير من المتصوفة في وجه الظلم، والطغيان، وقالوا كلمة الحق غير هيَّابين ولا وجلين ."[١] "وتمسكوا بالعقيدة الإسلامية الأصيلة القائمة علي تنزيه الله عن الحوادث، والممكنات. "[٢] وما كان ذلك إلا من خلال درجات القرب من الله تعالي، ومجاهدة النفس، **وهو ما يتناوله الباحث فيما يلي** :

المبحث الأول: المجاهدة وبداية السلوك الأخلاقي:

لم يصب فرع من فروع الفكر الإسلامي بمثل ما أصيب به التصوف من الطعن فيه وفي أهله بأنه دخيل، وبأن أهله دخلاء، بل وعملاء للإلحاد والشرك ... إن التصوف في حد ذاته ما هو إلا تعاليم الإسلام في شموله، وسموه، وروحه العالية المتألقة، فهو كما انتهي إليه التعريف الشامل عبارة عن حفظ الشريعة، وحسن الخُلق، وسلب الإرادة لله .

ولما كان الجمع بين هذه العناصر الثلاثة شاقاً علي كثير من النفوس، فقد انفردت به نفوس أرادها الله، فأحبها وأحبته، واستسلمت في جهاد النفس؛ لتقهرها علي جادته، عاملاً، وحالاً، ومقاماً، وذوقاً، فلانت طباعهم، وخفضوا الجناح للعامة والخاصة، وتخطوا العقبة الكئود، التي تحطمت علي صخرتها جهود أكثر الناس، ألا وهي جعل الإرادة لله."[٣]

إن حياة الصوفي هي رحلة جهاد ومجاهدة لملاقاة الله تعالى، أساسها صفاء الروح ونقاؤها؛ ولأن التصوف أخلاق وسفر روحي من أجل التحقق بمعاني القرب من الحق، كانت المجاهدة والتهذيب الدائم للنفس من أجل توجيهها والارتقاء بها . ومن هنا التقى التصوف مع الإسلام في روحانياته، وإعلائه من الأخلاق كقيمة وسلوك ومنهج من أجل تربية الفرد، وإصلاح المجتمع . لقد أدرك صوفية الإسلام أهمية الأساس الأخلاقي

---

(1) عبد الرازق الكيلاني : الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، طـ ١، دار القلم، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٥٧ . وكذلك :

- إبراهيم مدكور : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، جـ ٢، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦، ص ١٣٤ .

(2) نهاد خياطة : دراسة في التجربة الصوفية، طـ ١، دار المعرفة ومطبعة الصباح، دمشق، ١٩٩٤، ص ١٨ .

(3) عبد القادر أحمد عطا : التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي، طـ ١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، ص ٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للدين.[٤] ولذلك يقول الدكتور يوسف زيدان : " للتصوف الإسلامي آفاقه الذوقية الرحيبة، وعالمه العامر بالدلالات الروحية النورانية الشفافة، وطريق التصوف طريق طويل، لا يقطع مراحله إلا الصادقون في طريق الله، أولئك الذين تخلصوا من المشاغل الحسية التي تلهي المرء حياناً، وتلتهمه أحياناً . " [٥]

" وفي رحلة العروج لارتقاء السُّلم الروحي الممتد من الخَلْق إلي الحق، ما لا ينتهي من المشاهدة الذوقية . وما لا حصر له من الكشوفات، تلك المشاهدة، والكشوفات التي تتنزل بها التجليات الإلهية علي السر المودع في النشأة الإنسانية ألا وهو القلب ." وهذا هو سبيل الصوفية الذي ينتهي بالإنسان إلي الإيمان بالله عن طريق القلب لا عن طريق العقل وأقيسته المنطقية . " [٦]

ويمر السالك في رحلته بهذه العلامات، تحدو به الأشواق والمجاهدات، فكلما اجتاز بأجنحة الصدق مقاماً، لقي في سمائه عوالم أخري ومقامات، فلا يفتأ يترقي خارقاً الصفوف، ولا هَمَّ له غير لقاء المحبوب . فإذا تَمَّ عروجه، فما ثَمَّ غير الله . [٧] هذا " ومهما تكن صحة حال السالك من حيث البداية، إلا أن وصوله بالسلوك إلي الغاية والنهاية لا يتسنى له، وهو بعدُ مثقل ببقية من آثار النفس . فلابد من إسقاط تلك الآثار، وتوديع نفسه بالكلية . " [٨]

ومن هنا اقتصر منهج الصوفية؛ لبناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية في طرق عدة منها : المجاهدة يتخفف بها من أسر الحس؛ ليبقي عليه ارتقاء الأحوال والمقامات فيخفق قلبه بدقات طبول القرب لله، وتتجلي له أسرار المحبة فيصير بذلك غريباً من غرباء الدنيا، قريبا من أهل الحضرة الإلهية . وهو ما تدور حوله الدراسة فيما يلي :

---

(4) أبو الوفي الغنيمي التفتازاني : مدخل إلي التصوف، طـ ٣، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٥ .

(5) يوسف محمد طه زيدان : عبد الكريم الجيلي فيلسوف التصوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٥ .

(6) محمد عبد الجواد مغنية : معالم الفلسفة الإسلامية نظرات في التصوف والكرامات، طـ ٢، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٣١ .

(7) يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، طـ ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١، ص ٥٩ .

(8) المرجع السابق، ص ٦١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- حقيقة النفس الإنسانية :

إن للنفس حُجُبا نورانية وحُجُبا ظُلْمانية، وسبيل المريد للوصول إلى تخلُّص النفس من الحجب إنما يكون بتقديم مجاهدتها ومخالفتها، وأصل المجاهدة وملاكها فَطْمُ النفس عن المألوفات، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات. " فالنَّفْس عند الصوفية شرٌّ محض، وهي محل الأخلاق المذمومة، وموضع نظر الخلق. " [٩]

إنَّ تزكية النفس تتيسر بطريق العقل، فكما لا يجوز للمريض استعمال الأدوية إلا بنظر طبيبٍ حاذِقٍ ذو تجربة في المعالجة، كذلك تزكية النفس لا تتيسر إلا بنظر نبيٍّ أو وليٍّ ذو تجربة بهذا الشأن، ولا رجاء لإصلاحها إلا بإصلاح القلب الذي هو كالمَلِكِ، ولا تَصْلُحُ الرعية إلا إذا صَلُحَ المَلِكُ .[١٠] فإذا كان التصوف يقوم على مجاهدة النفس، كان من الضروري معرفة علل النفس وكيفية تطهيرها بتخليتها من الأخلاق الذميمة وتصفيتها. فمعرفة الله في نظر الصوفية تبتدئ بمعرفة النفس، والعلم بنوازعها، وعيوبها، ومحاسنها، فكان تأكيد الصوفية على أن الجهاد الحقيقي هو جهاد النفس، ولهذا سنجد تصوراً صوفياً للنفس باعتبارها تلك اللطيفة النورانية، والجوهر المستقل بذاته، حيث رأى الصوفية في الجسد حجاباً يفصلها عن عالمها الروحي وخالقها، فسعوا إلى تطهيرها من عللها، وتخليصها من تحكم شهواتها؛ حتى ترتقي إلى ربها راضية مرضية.

هذا ويمكن القول : إن الصوفية أسسوا فلسفتهم في مجاهدة النفس على مبدأ **معرفة النفس**؛ لأنهم رأوا أنه بمقدار ما يعرف الإنسان نفسه، تكون معرفته بربه، كما أنه من خلال معرفة النفس نقف على عللها ودوافعها؛ من أجل تهذيبها وإصلاحها؛ لإزالة عوائق ارتقاء الصوفي في سفره الروحي . فمجاهدة النفس هي عملية استبطان ذاتي؛ للكشف عن صغائر النفس وعيوبها؛ لأن النفس في نظر الصوفية هي عدو الإنسان الأكبر الذي ينبغي مجاهدته؛ ولأنها لا ترى الأشياء إلا من خلال رغباتها وحاجاتها المادية، فهي مصدر الشرور، ومركز والهوى، وإغراءات الدنيا لا تضل العبد عن الصراط السوي، إلا إن مالت نفسه إليها .

---

(9) عبد الكريم العثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين، طـ ١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٥٦ .

(10) أحمد بن محمد عبد الله : رياض أخلاق الصالحين، طـ ١، دار الرسالة، داغستان، محج قلعة، ٢٠١٥، ص ٨ . وكذلك

- عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن الكريم، دار الإسلام، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣٤ . وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشرور النفس في نظر الصوفية تتمثل في : المعاصي، والأخلاق المذمومة، كالحسد، والغضب، والرياء، والأنانية ... وغيرها. ولهذا يري **الحارث المحاسبي** : أن العُجب، والكِبر من شرور النفس التي ينبغي علاجها . فالعُجب يكون بالنفس، أو المال، أو الولد، أو بالحسب، والعشيرة، أما الكِبر فينتج عن النقائص : كالعجب، والحقد، والحسد، والرياء.[١١] وللصوفية مفهوم خاص للنفس الإنسانية، لا يستند إلي المعاني اللغوية والفلسفية المتعددة للكلمة، وإنما يستمد من جملة أصول شرعية وردت في الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، فما كان من القرآن الكريم فمنها قوله تعالي:

﴿ وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [١٢] ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ [١٣]

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [١٤] ﴿ وكذلك سولت لي نفسي ﴾ [١٥]

﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ [١٦]﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس (﴾[١٧] ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ [١٨]

كما استشهد الصوفية بالعديد من الآثار النبوية القريبة المعني مما أشارت إليه الآيات القرآنية؛ لينتهوا إلي القول : إن مطلق كلمة النفس إنما يُراد بها الطبيعة السيئة للنفس الأمارة، تلك النفس التي طُبعت " علي الغفلة، والشك، والشرك، والرغبة، والرهبة، والغضب، فهي نافرة، كارهة . " [١٩] " تستثقل العبادة والسير في طريق النجاة . " [٢٠]

---

(11) الحارث المحاسبي : الرعاية لحقوق الله، دار ابن حزم للنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢٧٩ .
(12) سورة النساء : من الآية ٧٩ .
(13) سورة يوسف : من الآية ٥٣ .
(14) سورة الرعد : من الآية ١١ .
(15) سورة طه : من الآية ٩٦ .
(16) سورة المائدة : الآية ٣٠ .
(17) سورة النجم : من الآية ٢٣ .
(18) سورة البقرة : من الآية ٥٤ .
(19) الحارث المحاسبي : بدء من أناب إلي الله، نشرها عبد القادر أحمد عطا بعنوان التوبة، دار الإصلاح، دار الاعتصام، ١٩٧٧، ص ٢٣ .
(20) الحارث المحاسبي : المسائل في أعمال القلوب والجوارح، تحقيق عبد القادر عطا، عالم الكتب، ١٩٦٩، ص ١٤٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ففي النفس صفتان تمثلان منبع الشر في رأي الصوفية هما: **الشهوة، والهوى**، أما **الشهوة** فهي مبدأ طلب اللذة المرتبط بالبدن، وهي باعث الإنسان على ارتكاب المعاصي والخطايا. أما لذة الصوفي فهي في إيثار ما لله تعالى على ما للنفس كما يشير **الحارث المحاسبي** في قوله : " وترك اللذة لله ألذ عند المريد وأبقى في القلب . " [٢١]؛ لأن السعادة الحقيقية عنده تتمثل في رضا الله تعالى . أما **الهوى** فهو ميل النفس؛ لتحقيق رغباتها، ولا يقتصر على لذة البدن بل يتعداه إلى النزوع نحو لذة الاستبداد، والتسلط، واكتناز المال . يقول **أبو حامد الغزالي** : " اعلم أن سعادة الآدمي في معرفة الله تعالى، وأن سعادة كل شيء في ما فيه لذته وراحته، وراحة القلب إنما هي ذلك، ولذة كل شيء في ما يقتضي طبعه ومقتضى كل شيء لما خُلق لأجله، كما أن لذة الشهوة نيلها إلى مقصودها، و لذة الغضب في الانتقام من الأعداء، ولذة العين في الصور الجميلة، ولذة السمع في الأصوات الحسنة والألحان المتناسبة، كذلك لذة القلب في خاصيته التي لأجلها خلق، وذلك لمعرفة حقائق الأمور[...]، وكلما كان المعلوم أشرف كان العلم به أشرف، ولذته أكثر، ولا موجود أشرف من عالِم جميع الأشياء، بل كل العالَم وجميع عجائب العالَم آثار صنعته، فلا تكون معرفة أشد من هذه المعرفة، ولا ألذّ منها ولا أطيب نظارة من حضرة الربوبية "[٢٢] يقول **ابن عربي** : " وما الحقيقة إلاّ ذلك الفيض النوراني الذي يتجلى للعارفين، الذين يتغيرون من حال إلى حال، تبعا للكشوفات والتجليات واختلاف درجاتها، وهي واحدة وإن تنوعت وتفاوتت مظاهرها، وتعددت أسماؤها ما بين العرش. والعقل الأول، وفلك الحياة والروح الأعظم، والقطب، والقلم الأعلى . " [٢٣]

ومن المنظور الصوفي تعتبر النفس جوهر مستقل ووحدة لا تعدد فيها، وإنما تتعدد أحوالها فهي نفس :**أمارة، ولوامة، ومطمئنة راضية مرضية**، متحققة بالسمو والكمال، فهي بحكم طبيعتها الروحانية تظل تتطلع إلى السمو والكمال والعودة إلى عالمها العلوي؛ لأنها ضيف على البدن بعد هبوطها من عالمها، ولذلك فهي بانجذابها إلى الارتقاء، تعكس حنينها إلى الخلاص من قيد الجسد أو العالم المادي، والعودة إلى ما كانت عليه في صفائها وطهرها، حين كانت على اتصال مباشر بخالقها، وأقرت بوحدانية الله تعالى . فغاية توحيد

---

(21) ..... : الرعاية لحقوق الله، مرجع سابق، ص ٢٧٢ .

(22) أبو حامد الغزالي : جواهر القلوب، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ، ص ٥٢ . وكذلك :

- ..... : معارج القدس في مدارج معرفة النَّفْس، طـ ٢، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٥، ص ١١٧ .

(23) محي الدين بن عربي : التجليات الإلهية، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢١١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموحد للواحد، أن يبقى بأوصاف الحق، كما لم يزل على معنى قوله صرت سمعه، وبصره، ويده، ورجله، وقلبه، يسمع به، ويبصر به، ويأخذ به، ويعقل به .[٢٤] ولا سبيل لهذه النفس إلا بالتحرر من أسر شواغل المادة، وسيطرة الشهوات، وما ارتقاء الصوفي في حياته الروحية، إلا تَرَقٍّ للنفس، بفعل تصفيتها من كبوتها وعيوبها، التي تشوه صفاءها في نظر الصوفية، فكان لابد من مجاهدتها وتطهيرها. ورحلة المجاهدة الصوفية للنفس، هي رحلة معاناة كما يصفها **البسطامي**، حيث بدأها بالنظر في مرآة قلبه؛ لمعرفة نقائصها، ثم بالعمل على قطع علائق الانشغال بشهوات الدنيا، التي تعيق القلب عن التفرغ لله، وتحجبه بحجاب الغفلة . فيقول **البسطامي** : " كنت لاثنتي عشرة سنة في حداد مع نفسي، وخمس سنين كنتُ مرآة قلبي، فإذا في وسطي زنار ظاهر فعملت على قطعه، وعندما نظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى". [٢٥] فهنا يصور **البسطامي** انسياق الناس وراء غرائزهم، ورغباتهم الحسية، واستسلامهم لسيطرتها بالموت؛ لأنهم محجوبون عن المعاني الروحية، فكان هذا الحجاب من المادة والشهوات موتًا لأرواحهم. وقطع هذا القيد من شواغل الشهوات يتطلب تضحية وقوة إرادة، بكبح النفس عن أهوائها، ورغباتها وإيثار ما لله تعالى، وبالتالي فالنفس الإنسانية بالنظر إلى طبيعتها وبحسب الرؤية الصوفية المستمدة من القرآن الكريم ليست على درجة واحدة، بل تتنوّع نفوس البشر على درجات متفاوتة بحسب قرب أصحابها من الله تعالى وبعدهم عنه وتنقسم إلى : **النفس الأمارة، النفس اللوامة، النفس المطمئنة . وهو ما يتناوله الباحث فيما يلي** :

١ - النفس الأمارة :

هي النفس التي غلبتها طبيعة الشر وأسرتها الشهوات يقول الحق سبحانه وتعالي : ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾[٢٦] وسيطرت عليها الأخلاق المذمومة: كالحسد، والبخل، والرياء، والكبر، والشهوة، والغضب، فسميت "بالشهوانية " وكانت أمارة؛ لأنها تحكمت فيها الشهوة، والغرائز، فصارت محجوبة عن عالم النور والحق؛ لأن هذه الأخلاق المذمومة كانت بمثابة الأمراض التي شكلت حجاباً وعائقاً لصفاء النفس .

ويرى الصوفية أن هذه الأمراض مثل الصدأ الذي يشوه مرآة النفس، وأنه لا سبيل لصقلها إلا بعلاجها وتطهيرها من رذائلها، وأمراضها، فهذه النفس "**أمارة**" ؛ لأنها تُزين

(24) الجنيد : رسائل الجنيد، تحقيق أحمد المزيدي، طـ ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٦٠ .
(25) البسطامي : المجموعة الصوفية الكاملة، تحقيق قاسم عباس، دار المدي، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٦٦ .
(26) سورة يوسف : من الآية ٥٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للإنسان الشهوات والمعاصي، وتُغريه باللذات فتُحْرِم من نور الله عندما تسيطر عليها المادة، والشهوات، فتغيب عنها سعاة الروح ولذة الارتقاء في مدارج الكمال، وينسي أصحابها أنفسهم من جهة ما يحقق لها سعادتها الحقيقية، عندما ينغمسون في شهواتهم فتغلبهم عيوب النفس ونقائصها، وتكون حجاباً يضيع صفاء النفس، ولذلك فلا سبيل إلا بالمجاهدة والتطهير؛ للانتقال بهذه النفس إلى مستوى النفس اللوامة، ثم المطمئنة .

٢ - النفس اللوامة :

هي نفس كثيرة اللوم لصاحبها على التقصير في الطاعات، وهي تنظر بعين التأنيب، واللوم إلى مواطن التقصير والمخالفات؛ من أجل تهذيب النفس وإصلاحها. وقد أقسم بها الحق في قوله تعالى : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ [٢٧] " وذلك تعظيماً لشأنها ولمرتبتها، فهي الواقعة ما بين النفس الأمارة والمطمئنة، وهي لا تزال لائمة لنفسها؛ حتى تتحقق بالتصفية وبمقام الاطمئنان، ولذلك استحقت أن يقسم بها الحق على قيام البعث والحشر . فهي نفس تدفعها طبيعتها اللوامة إلى كبح رعونة النفس وأهوائها، بدوام تأنيبها على نقائص الأعمال، فتوقظ النفس من غفلتها. ولهذا كانت النفس في رأي **ابن عربي** : " لا يمكن أن تكون تحت حكم اللوامة، إلا إذا سكنت تحت الأمر التكليفي، واكتسبت الفضائل . فإذا اقتنت النفس الفضائل، تشرق النفس، وتعظم الهمة، فتمكن صاحبها من امتلاك نفسه، وأخلاقه، فتنقاد ويسهل عليه تهذيبها، وإصلاحها . [٢٨]

٣ - النفس المطمئنة :

هي النفس التقية النقية [٢٩] التي تصل إلى المراتب العليا من الطهارة، وتحظى بمقامات الترقي ومذاق الوصول، بعد أن تطهرت من عللها، وشواغلها الشهوانية، فتحققت بصفائها وحظيت بتجلي أنوار الإيمان على صفحاتها، فوصلت إلى مقام الطمأنينة وأشار إليها الحق في قوله تعالى : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾[٣٠] فهي نفس لا يلحقها خوف، ولا جزع؛ لأنها في مقام الاطمئنان، وفي منازل

---

(27) سورة القيامة : الآيتان، ٢ – ٣ .

(28) محي الدين بن عربي : كتاب الأخلاق، مطبعة التقدم، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٤١ . وكذلك :
- محمد الحسن : المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، طـ ٤، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ١٩٩٨، ص ٥٥ وما بعدها .

(29) أحمد عمر هاشم : النفس في القرآن، دار الفيصل للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٩٦، ص ١٤ .

(30) سورة الفجر : الآيتان، ٢٧ – ٢٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرضا، راضية مرضية عند الحق، وعند الخلق . " تتخلق بالأخلاق الحميدة وتترفع عن الأخلاق الذميمة فتنور قلبه بالإيمان، وتواظب على فعل الطاعات . " [٣١]

لذا جمع **ابن عربي** الأخلاق بالنفس الإنسانية من خلال قواها الثلاث : **النّفس الشّهوانيّة** المسئولة عن جميع اللذات، والشهوات الجسمانية التي يشترك فيها الإنسان والحيوان، وهي قوية جداً ما لم يقهرها ويهذبها، وإلا ملكته واستولت عليه، وهو إذ ذاك يكون أشبه بالبهائم منه بالإنسان؛ لأن صرف النفس إلى الشهوات من عادات البهائم، لذا وجب عليه أن يجعلها منقادة إليه، ويكون هو مالكها، فيستعملها في حاجته التي لا غنى عنها، ويكفها عما لا حاجة له منها، أما **النفس الغضبية** فهي اشتراك بين الحيوانية والإنسانية، وهي أقوى من النفس الشهوانية وأضر بصاحبها؛ لأنها إذا استولت عليه آثر غضبه، وظهر خرقه، وعدم حلمه ووقاره، وأسرع عند الغضب إلى الانتقام، وزاد في التشفي فأكثر السب والفحش، فإذا استمرت هذه العادات في الإنسان كان بالسباع أشبه منه بالإنسان، فإذا أدب نفسه الغضبية وقمعها كان رجلاً حليماً، وقوراً، عادلاً محموداً، أما **النّفس النّاطقة** التي تميز بها الإنسان عن سائر الحيوان، فهي التي شَرُفَ بها الإنسان، وعَظُمَت همته، وهي التي بها يستحسن المحاسن، ويستقبح القبائح، وبها يمكن للإنسان أن يهذب قوتيه السابقتين ويكفهما ويضبطهما، وبها يفكر في عواقب الأمور، وفضائل هذه النفس، اكتساب العلوم، والآداب، وكف الرذائل، وسياسة صاحبه في معاشه، ومكسبه، ومروءته، وفعل الخير، والحلم، والحياء، والعفّة، وطلب الرئاسة من الوجوه الجميلة، فإذا فعل ذلك صار بالإنسانية متحقّقا، وللرئاسة الذاتية مستحقاً . [٣٢]

ولذلك عني الصوفية بمصطلح الطمأنينة فكان عندهم: حال رفيع لا يكون إلا لعبد رجح عقله، وقوي إيمانه، وصفا ذكره، وثبتت حقيقته . [٣٣] ولا يحظى بهذه المنزلة إلا من تطهرت نفسه؛ حتى تحقق بطمأنينة الوصول في منازل القرب من الحق، وحظي بأنوار اليقين؛ حتى يكون في معية الحق خُلقاً : وسلوكاً، وقلباً مستغرقاً في الحق، مشغولاً به عن ما عداه. فيتجاوز ذاته الجزئية المتناهية إلى اللامحدود. فإذا اكتحل القلب بنور ذكر الحق، وصار بحراً من نسمات القُرب، أجرى في جداول أخلاق النفس صفاء النعوت، والصفات

---

(31) نزار العاني : الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥، ص ٢٨ .

(32) محي الدين بن عربي : رسالة في تهذيب الأخلاق، تقديم عاصم إبراهيم الكيلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ص ١٣٩ – ١٤٤ . وكذلك :

- محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس، طـ ٧، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٣٢ .

(33) الطوسي : اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود، جـ ٤، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٠٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتحقق بالتخلق بأخلاق الله سبحانه وتعالي . [٣٤] فالطمأنينة هنا ثمرة للصبر، والمجاهدة، والنجاح في ترويض النفس، وقهر ميولها للشهوات، مما يحرر الصوفي من القلق، والمخاوف بسبب الانسياق وراء أعراض الدنيا والانشغال بها . فيثمر إعراضه عن مباهجها، وبريقها رضاً في النفس، وفرحاً بطمأنينة قلبه التي توصله إلى شهود الله تعالى في حركاته، وسكناته . **ومن هنا يتأسس منهج المجاهدة عند الصوفية على مبدأين جوهريين هما :**

١ - **تنظيم علاقة الإنسان مع الله - سبحانه وتعالي - بتأسيسها على الطاعة، وإخلاص التوجه والتحقق بأخلاق الله بتصفية القلب .**

٢ - **تنظيم علاقة الإنسان بالإنسان، فتتأسس المعاملة على الفضائل، والقيم الأخلاقية.**

وبحسب فلسفة المجاهدة في رحلة الترقي الصوفي، ومن خلال ترتيب المقامات التي يترقى فيها العارف؛ ليتحقق في منازل الأحوال بأنوار الحق. يتضح أن رحلة المجاهدة هي رحلة ترقي في المعراج الروحي، بعد أن يتطهر العبد من شواغل الشهوات، ويصل إلى مقام الإحسان، بتصفية الباطن من الرذائل، فتصفو النفس وتتحلى بالفضائل وتشرق على مرآتها أنوار الهداية . وقد كان العروج بالنفس من خلال التجربة العرفانية، من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى، عبر تدرج وديناميكية إيجابية تنطوي على أبعاد إنسانية وكونية إلهية، تعكس رؤية صوفية، تهدف إلى تكوين الإنسان المتحقق بالأخلاق، والفضائل، ومعاني التحرر في رحلة هدم وبناء وارتقاء وسمو، يتجلى فيها :

١ - **بُعد موضوعي: يتمثل في العبادة، والتربية، والتحلي بالفضائل .**

٢ - **بُعد ذاتي : يتمثل في سفر روحي للعارف في مراتب الترقي الروحي؛ لتشرق على قلبه أنوار اليقين .**

ومن خلال هذا النسق المعرفي الذي يدفع بارتقاء الذات؛ لتصبح ذاتاً إيجابية فاعلة للخير، يتجلى لنا منهج متكامل للتربية، ينطوي على أبعاد أخلاقية، ووجدانية ذوقية، يلتقي مع الإسلام في حقيقة التوحيد والإيمان، فتنسج فلسفة المجاهدة نسيجاً متلوناً بألوان التجلي، وإشراقات الأنوار الإلهية على صفحة القلب، تترابط في هذا النسيج وظائف الدين الظاهرة، والباطنية من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص التوجه القلبي إلى الله .ومن خلال هذا المنهج العرفاني، تتجلى فلسفة المجاهدة في تأسيسها على إرادة حرة، واستبطان للذات، ونظرية في طبيعة النفس الإنسانية، مستمدة من النبع القرآني، والخطاب الرباني، والسنة النبوية تتضمن المعرفة بالنفس، والوقوف على عللها، وطرق علاجها، وتهذيبها .

---

(34) السهروردي : عوارف المعارف، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٧٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا وتقع الإرادة الصوفية بين الأنا والآخر، ومجهود المريد هو إخراج الإرادة من ذاته، وردّها إلى عالم الحق، لذا تتطلب الإرادة دائماً في عرف الصوفية، والتجرد منها، والانخلاع عنها، وفي هذا الإطار تأتي عبارة **البسطامي** على لسان خالقه : " من أتاني منقطعا إليّ جعلت إرادتي في إرادته . " [٣٥] وهو أمر لا يحدث لدى **نجم الدين الكبرى** إلاّ " **بالموت الكبير الأخير** . " [٣٦]

" بهذا النظر الباطني إلي أعماق النفس، يكشف الصوفية الذوق عن آفات النفس، فيعبرون أدق تعبير عن الصراع الخفي بين الإقِدام والإحجام حال التوبة . منبهين مريدهم إلي ما يجب أن يلتزم به، كي يجتاز أول مقامات الطريق، فيخرج نقي السريرة، زكي النفس، قوي الخلق، مفعماً بالإيمان . " [٣٧]

المبحث الثاني : منهج التصوف وضرورة المجاهدة :

" إن النفوس بما فيها من شهوة، وبما فطرت عليه من غفلة، وبما عرضتْ له من شؤون الحياة، وبما سُلِّط عليها من قرناء السوء، من شياطين الإنس والجن، لا تزال في مقارفة الذنب، فيجب إصلاحها بإزالة النقص الذي يحدثه الذنب فيها، وإبعاد ضرره عنها، وهذا لا يكون إلا بالتوبة، والرجوع إلى الله تعالى ." [٣٨] ولما كانت النفس الإنسانية علي هذا النحو، فقد وجب علي صاحبها العمل علي مجاهدتها؛ لتتخلص من صفاتها المذمومة، وتترقي عن مرتبة الأمر بالسوء . ويكون بذلك قد قام بأمر الله الوارد في قوله سبحانه وتعالي : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾[٣٩]

" فإذا كانت ضرورة المجاهدة عامة لكل إنسان؛ حتى لا تقوده نفسه لمتابعة الهوى، وزخارف الدنيا، ووسوسة الشيطان، فإن هذا الأمر أولي في حق السالك الذي رام الوصول إلي القرب من الحق، فالمجاهدة بالنسبة لهذا السالك فرض وسنة، لا محالة له عنهما " [٤٠] وإلي ذلك يشير **أحمد بن محمد عبد الله** بقوله : " ومن لم يكن معجباً بنفسه،

---

(35) قاسم محمد عباس : أبو زيد البسطامي المجموعة الصوفية الكاملة، طـ ١، المدي للثقافة والنشر، سوريا، ٢٠٠٤، ص ٦٢ .

(36) نحم الدين كبري : فوائح الجمال وفواتح الجلال، تحقيق يوسف محمد طه زيدان، طـ ١، دار سعاد الصباح، الكويت، مصر، ص ص ١٢٨ – ١٢٩ .

(37) أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي العقليون والذوقيون أو النظر والعمل، طـ ٢، دار المعارف، ١٩٨٣، ص ٢٦٢ .

(38) أحمد بن محمد عبد الله : رياض أخلاق الصالحين، مرجع سابق، ص ٦ .

(39) سورة النازعات : الآيتان ٤٠ – ٤١ .

(40) يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، مرجع سابق، ص ٦٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان بمَدْرَجَة التخلق بمحاسن الأخلاق، والتنزه عن نقائصها؛ لأن الإنسان مجبول على حب الكمال، وكراهة النقص، فإذا سلم من العُجب، فإن تلك الجِبِلَّة تدعوه إلى ذلك التخلق والتَنَزُّه، فإذا نُبِّه على نقصه، لم تأخذه العِزة، وإذا رُغب في الكمال، كانت له إليه هِزَّة، فلا يزال بين التذكيرات الإلهية، والجبلّة الإنسانية الخُلُقية، يتهذب ويتشذب؛ حتى يبلغ ما قدر له من الكمال.[٤١] يقول **ابن عربي** : " وهذه المشاهدة للحقيقة تستوجب المجاهدة وتكون عن طريق حمل النفس على المشاق البدنية، وتهذيب الأخلاق النفسية . "[٤٢]

"وطريق المجاهدات طريق شاق، فالسالك كلما جاهد نفسه وكسر حدتها وقتلها بسيف المخالفة، أحياها الله مرة أخري، فتعود لتنازعه، وتجنح لأمانيها، فيعود هو إلي المجاهدة مرة بعد مرة " [٤٣] ويظل السالك في هذه المعاناة الطويلة التي وصفها النبي صلي الله عليه وسلم : (**بالجهاد الأكبر**) " فحين خاطب الله تعالى أولياءه ودعاهم إلى حضرته، نبههم إلي أيسر الطرق وأقربها، وهو طريق معاداة النفس ومخالفتها، فقد قال الله تعالى لبعض أوليائه : عَادِ نفسك، فليس لي من المملكة منازِعٌ غيرَها؛ أي لأنها تطلب ما هو له تعالى: كالكبرياء، والعظَمة، وانقياد الناس وطاعتهم، وهذه الصفات لا تجوز إلا للخالق العظيم سبحانه . " [٤٤]

" إنَّ من أعظم الطرق الموصلة إلى صلاح النفس وتزكيتها، طريق محاسبة النفس على كل ما تحّث وتأمر به صاحبها، فإنه إذا كان لك وكيل يحاسب نفسه، فأنت لا تحاسبه لمحاسبته نفسه، وإن كان وكيلا غير مُحاسِبٍ لنفسه، فأنت تحاسبه وتبالغ في محاسبته، فعلى هذا ينبغي أن يكون عملك كله لله - تعالى - ولا ترى أنك تفعل فعلاً والله تعالى لا يحاسبك عليه . " [٤٥]

إنَّ تربية النفوس تكون بالتخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل، والعُجب هو أساس الرذائل، فأول الترك تركه، وهو المانع من اكتساب الفضائل، فشرط وجود الفضائل تركه، ومن لم يكن معجباً بنفسه كان بمَدْرَجَة التخلّق بمحاسن الأخلاق والتنزه عن نقائصها.

---

(41) أحمد بن محمد عبد الله : رياض أخلاق الصالحين، مرجع سابق، ص ١٥ .
(42) محي الدين بن عربي : الفتوحات المكية، جـ ٢، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٤٥ .
(43) يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، مرجع سابق، ص ٦٦ .
(44) أحمد بن محمد عبد الله : رياض أخلاق الصالحين، مرجع سابق، ص ٧ .
(45) المرجع السابق، ص ١١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث : منهج التصوف وطرق المجاهدة :

للنفس الإنسانية عند الصوفية صفتان مانعتان لها من الخير: انهماكٌ في الشهوات، وامتناعٌ عن الطاعات، وإذا ثارت النفسُ عند غضبها فما من منازلة أحسن عاقبة من غضبٍ يَكسِر سلطانُه بخلُقٍ حسن، وتُخمد نيرانه برفق، فإذا اسْتَحْلتْ النفسُ شرابَ الرعونة فمن الواجب كسر ذلك عليها، وإذلالها بعقوبة تذكرها حقارةَ قدرِها وخساسة أصلها، وقذارة فعلها . " ولأن النفس الإنسانية خداعة شديدة المكر، فهناك عدة سُبل لمجاهدتها وتصفيتها وحملها إلي مراتب الأمن . " [٤٦] ومن هنا كان على الإنسان أن يبذل جهده؛ ليرقى بنفسه ويزكيها، ولا يهملها فهي قابلة لهذا وذاك، فهي مستعدة للفجور استعدادها للتقوى. وإنما ترتقي إلى التقوى : **بقطع مألوف العادات، المخالفة، المحاسبة والمراقبة . وهو ما يتناوله الباحث فيما يلي :**

(أ) قطع مألوف العادات :

" إذا عقد المسلم العزم علي أن يسلك طرق المجاهدة، وأن ينتسب إلي الصوفية، فعليه أن يَدَعَ حياته الأولي، فيقطع صلته بماضيه، وما كان فيه من : إخوان سوء، وشهوات نفس، وزينة حياة . " [٤٧] " فالنفس تألف بعض العادات وترتاح لها، حتى يُمسي صاحبها ذليلاً لها، لا يملك الإفاقة من سيطرة ما ألفته النفس، فتتواتر عليه الآفات . بهبوط الهمة .. ومن هنا كان باب المجاهدة لا يفتح، إلا بقطع النفس عما لازمته من عادات، وخروج السالك بنفسه من معهود المأكل، والمشرب، والملبس، والوقوف معها عندما دعا إليه الشرع، وما أمر به الله تعالي، فيكون المتصرف هو الخالق عز وجل، لا النفس الأمارة بالسوء .. وآنذاك يتحرر السالك الصادق من عبادة العادة، وتصير لديه العبادة عادة . " [٤٨] لذا بدأ التصوف في صورة بسيطة منذ الصدر الأول للإسلام [٤٩] فلوحظ على كثير من الصحابة رضي الله عنهم ميلهم إلى : الزهد، والتقشف، وإعراضهم عن الدنيا . ولذلك كان الزهد عند من مارسه، هو ترك الدنيا، والإعراض عن شهواتها، " فلا تطغي عند الإنسان النزعة المادية علي النزعة الروحية، والجانب الدنيوي، علي الجانب الأخروي " [٥٠] كما حرصت الآية الكريمة في قوله تعالي : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا

---

(46) يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، مرجع سابق، ص ٦٧ .
(47) أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٥٧ .
(48) يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، مرجع سابق، ص ٦٧ .
(49) إبراهيم مدكور : في الفلسفة الإسلامية، جـ ١، دار المعارف، ط ٣، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٦١ .
(50) محمد عبد الجواد مغنية : معالم الفلسفة الإسلامية نظرات في التصوف والكرامات، مرجع سابق، ص ٩٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ [٥١] وهذا المعنى قريب من معنى التقشف؛ لأن التقشف هو ترك الترف والنعمة، ومحاربة النفس في سبيل الوصول إلى الكمال الأخلاقي، وبذلك فإن الزهد يعني ترك الدنيا طلباً للآخر ة. ولا يعني ذلك كراهية الدنيا لذاتها، وإنما المقصود عدم حبها [٥٢] وثمة فرق كبير بين المنزلتين؛ فالكراهية تدعو إلى التباعد والنفور، وعدم الحب ليس فيه أكثر من عدم اهتمام وعدم تطلع.

(ب) المخالفة :

إذا كان للعادة أثرها البالغ في كون النفس إلي الدنيا، فإن للهوي والأماني أثراً أبلغ علي النفس . فقد طُبعت النفس علي الهوي والضلال، وجُبلت علي التمني وحب الشهوات، ولذلك حذرت الآيات القرآنية من متابعة الهوي في قوله - سبحانه وتعالي - : ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ [٥٣] ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾[٥٤] ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ [٥٥].

فهذا النوع من المجاهدة يكون برفض ما تهواه النفس من أمان، وإلزامها بما يشق عليها .. وليس أشق علي النفس الأمارة من أمور العبادة ! فعلي السلك أن يبدد أهواء نفسه وتعلقاتها بكل شديد من العبادات؛ حتى تفيق من غيها، وتتلذذ بالطاعات، وتسقط عنها مشقة التكاليف الشرعية؛ حتى تتذوق حقائق الإيمان .. وقد كان الصوفية دوماً يقهرون هوي النفس بإذابتها علي مشعل العبادة، فكان الواحد منهم يقوم الليل بطوله عابداً، متهجداً، فإن أدركته الشيخوخة فلم يقم إلا نصف الليل، يقول ذهب نصف عملي .

(ج) المحاسبة والمراقبة:

" محاسبة النفس هي واحدة من الأساليب العملية في تزكية النفس، والتي منها كذلك : العلم النافع، والعمل الصالح، وصحبة الصالحين، والزواج، والتفكر في المخلوقات، وتذكر الموت، وأهوال القيامة، والمطالعة في نصوص الترغيب والترهيب . "[٥٦] والمراد

---

(51) سورة القصص : الآية ٨٣ .
(52) محمد الصادق إبراهيم عرجون : التصوف في الإسلام منابعه وأطواره، دار وحي القلم، طـ ١، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٥.
(53) سورة ص : من الآية ٢٦ .
(54) سورة النجم : من الآية ٢٣ .
(55) سورة الكهف : من الآية ٢٨ .
(56) عبد الله بن علي بصفر : ومضات في تزكية النفس، طـ ٢، دار نور المكتبات، ٢٠٠٥، ص ٢٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمحاسبة النفس : النظر والتأمل فيما عمل المسلم من أعمال، وما قدم من خير أو شر، مع النظر في النية والقصد، وحساب الربح والخسائر .

" محاسبة النفس في المفهوم الصوفي، وسيلة لحفظ الحال من التردي في المذمومات، فالسالك يقف دوماً من نفسه موقف الحذر، ويتهمها في كل ما تدعو إليه، كيلا تتسلل في غفلة إلي ضلالاتها، التي سيحاسبه الله حتماً عليها .. " وبعد المحاسبة تأتي المراقبة .. وهي علم العبد بأن الله مُطلع عليه، مُراقِب له في كل حركاته وسكناته ! فعليه إذن أن يُراقِب حركات نفسه وسكناتها؛ حتى لا تجرَّه إلي ما يستحي أن يراه الله فيه . وهذه المراقبة هي تمام المجاهدة عند **الإمام الجيلاني** بل نراه يؤكد علي أن الإنسان لو عاش دهراً من العبادة مجتهداً، دون أن يعرف المراقبة، ودون أن يعمل عليها .. لم تنفعه عبادته، ومجاهدته لنفسه، وكان علي الجهل، ومصيره إلي النار . (٥٧)

إن معركة الجهاد والمجاهدة التي يعيشها الصوفي، باعثها الارتقاء من عالم المادة، إلى ملكوت السماء، وسعة الأفق الذي تتوق إليه الروح، وهذا الارتقاء لا يتم إلا بفعل التطهر لتلك النفس المحكومة بوجودها المادي، وطبيعتها المفتقرة دائماً للتقويم والتهذيب؛ ذلك لأن التصوف باعتباره تجربة روحانية في جوهرها، باطنية في حقيقتها وطابعها، فهي تتجه للنفس كحركة داخلية، من أجل إصلاحها والارتقاء بها إلى مستويات الكمال. وما بين التعلق بالمادي والترقي الروحي، يرى الصوفية علاقة عكسية، فكلما زاد الإقبال على إشباع الغرائز والشهوات، ضَعُفَ الاتجاه الروحي لدى العبد، وتقلصت مساحة صفائه النفسي . ومن هنا كانت النفس في نظر الصوفي، ومن منطلق فلسفة المجاهدة، كون ينبغي تنقيته وتصفيته؛ لتشرق فيه أنوار الحقيقة بفعل التطهير الذي سيحقق لها التدرج في منازل الارتقاء في المقامات والأحوال الصوفية . ومن هنا تسمو المجاهدة بالذات الإنسانية، إلى مدارج الكمال الروحي، حيث تنفتح على اللامتناهي وتعانق المطلق .

المبحث الرابع : منهج التصوف وبناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية :

إذا كانت التربية الإسلامية نشاطات إسلامية، تنظمها المؤسسات الإسلامية في الحياة الإسلامية، وتقوم بها؛ لتنشئة أجيال المسلمين، وإعدادهم للحياة بحسب الإسلام؛ ولحمل رسالة الإسلام التي تشمل جميع مجالات الحياة، حملاً ارتقائياً، يقيم الحجة على المنحرفين والضالين في الداخل، وعلى الأمم التي يبلغها الخطاب في الخارج، فأين منهج التصوف

(57) يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، مرجع سابق، ص ص ٧٠ - ٧١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية من هذا ؟ هناك من يركز على التربية الإسلامية في التراث الإسلامي، مفترضاً أن التربية في التراث الإسلامي، ما هي إلا تاريخ مضى، ويتناسى أو يتجاهل العلاقة الإسلامية بين الإسلام، والتربية الإسلامية . (٥٨)

وهناك من يركز على مركزية القضية التربوية في فهم واقع الأمة وأسباب تخلفها(٥٩). ولكنه يتجاهل علاقتها بالإسلام، ويحصر تفكيره في صور من المشكلات الواقعية في ما يسميه (**الواقع التربوي**) متجاهلاً أن التربية الإسلامية لا تعمل نسقياً إلا في واقع إسلامي، بغض النظر عن جدلنا حول "معالم في الطريق التربوي للنهوض الحضاري" مفترضين أن التربية وحدها يمكن أن تُنهض الأمة العربية الإسلامية بعيداً عن ارتباطها النسقي بالإسلام . (٦٠)

" بيد أن التربية الإسلامية ليست تعليماً وحسب، بل هي منهاج حياة، وإذا كانت كذلك فإنها لابد من أن تكون واسعة وشاملة، تحيط بأبعاد مترامية الأطراف، وتسيطر على كل ما يتصل بالوجود والإنسان.. إن التربية الإسلامية نظام متكامل؛ لبناء شخصية الإنسان المسلم في ذاته وفي مجتمعه، ومن ثم فهي وسيلة؛ لإيجاد مجتمع خير فاضل، قدر المستطاع ".. لكن أين علاقة التربية -الشاملة هذه- بالإسلام ؟ وهل هي الإسلام، أم هي جزء منه ؟ وأين نحن من النسقية المنظومية الإسلامية ؟ (٦١).

إذا نظرنا إلى التربية الصوفية من خلال الطرق، والأذكار، والأوراد، وواجبات المريدين تجاه الشيوخ، فإن الموضوعية تقتضي إخراج كل نظام صوفي أو طريقة من دائرة التربية الإسلامية، بغض النظر عن تلاحم جزئيات أو مفردات تتشابه أو تؤخذ من النسق الإسلامي، ولأهداف لا يمكن أن تكون إسلامية؛ لأن الإسلام نسق متكامل يُؤخذ كله، أو يترك كله، ولا يؤخذ بعضه، إنه نظام الإسلام، ولا تعرف الجزئية فيه بأنها إسلامية إلا في تفاعلها في إطار النسقية الإسلامية . ومن أوضح الأمور وأبسطها، أن لا نصف أمراً بأنه إسلامي، وإن فعله بعض المسلمين، إلا إذا استوفى شروط هذه النسبة : عقدياً، وتشريعاً،

---

(58) محمود قمبر : نحو رؤية موضوعية للتربية في التراث الإسلامي؛ دراسة تحليلية نقدية، إسلامية المعرفة، السنة الثامنة، العدد ٢٩، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٢، ص ٩٩ . وكذلك :
- ..... : دراسات تراثية في التربية الإسلامية، الدوحة، دار الثقافة، ١٩٨٥، ص ١٠ .

(59) سعيد إسماعيل علي : مركزية القضية التربوية في فهم واقع الأمة وأسباب تخلفها، إسلامية المعرفة، السنة الثامنة، العدد ٢٩، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٢، ص ١٢ .

(60) سعيد إسماعيل علي : مركزية القضية التربوية في فهم واقع الأمة وأسباب تخلفها، إسلامية المعرفة، مرجع سابق، ص ص ٣٠ – ٤٦ .

(61) عبد الرازق الكيلاني : الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، مرجع سابق، ص ١٥٧ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتطبيقاً، وغاية. فأين نحن ؟؟ " أما أن نهدم التصوف من أساسه، بعد ما رأينا ما قدمه للإسلام، وللمجتمع الإسلامي، فهو الظلم، والجهل بعينه ... فكم يستفيد مجتمعنا فيما لو اتبع كل فرد منا التصوف الأصيل، وقال صباح مساء : الله ناظري، الله شاهدي، الله مطلِّع عليَّ ؟ ... ألا نصل بذلك إلي تحقيق المجتمع الفاضل الذي كان في فجر الإسلام، والذي يصبو إليه كل إنسان، ويوفر علينا وعلي شعوبنا كثيراً من الآلام ."[٦٢]

هذا ويرى الصوفية أن لهم طريقاً روحياً يسيرون فيه، وهذا الطريق يعتمد أساساً ومنهجاً وغاية على القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وهذا الطريق قد جربه الصوفية، فثبت ثماره عن طريق التجربة أيضاً، وجوهر الطريق الصوفى هو ما سماه الصوفية المقامات .

فللتصوف طَريق محدد يعبر عنه بالأحوال والمقامات، مع ملاحظة أن المقام الذي يبنى عليه الحال ليس مُعبْداً وميسوراً، بل هو عدة مراحل، كل مرحلة تختلف بحسب جهد الصوفى، واحتماله المشقة . ويجب على السالك اجتياز تلك المراحل؛ لأن معالجة النفس فى كل مرحلة منها، يحتاج إلى مدة يكون فيها السالك خلال هذه المدة مقيماً على مجاهدة نفسه، ومعالجتها بالعلاج المناسب لوقته، والملائم لدرجته . وتبدأ الرحلة إلى الله - سبحانه وتعالى - عند الصوفية، بأن يسلك المريد بكامل إرادته طريقاً روحياً، مبدؤه ومنتهاه القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ويستمر المسافر إلى الله تعالى، في رحلته إلى الله تعالى محتضناً كل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة المطهرة دون غفلة، ومتجملاً بصدق النية، وقوة العزيمة، والإصرار على الابتعاد عن المعاصي، وهوى النفس الأمارة بالسوء، فالطريق الصوفي الذي يسلكه المريد، جوهره الأحوال والمقامات . **وهو ما يتناوله الباحث فيما يلي** :

- مفهوم الحال والمقام:

من أشهر المفاهيم التي انفرد بها أهل الطريق الصوفي مفهوم الأحوال والمقامات، أخذ الصوفية مفهوم الحال من آيات القرآن الكريم، حيث ورد بمعني الوضع والمنزلة، ومن الآيات التي وردت فيها لفظة **مقام** في القرآن الكريم ما يلي : ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾[٦٣] ﴿ إن المتقين في مقام أمين ﴾[٦٤] ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾[٦٥] ﴿ ومن

(62) المرجع السابق، ص ١٦٤ .
(63) سورة الصافات : الآية ١٦٤ .
(64) سورة الدخان الآية ٥١ .
(65) سورة الرحمن : الآية ٤٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾[٦٦] فأشاروا إلي المواضع والمنازل الروحية، التي يتلبث عندها السالك، في رحلة عروجه إلي الحضرة الإلهية، وما يتحقق به من : آداب، وأخلاق، وأذواق . [٦٧] **والمقامات عند الصوفية عديدة منها : التوكل، الصبر، الشكر، والرضا .... وغير ذلك مما يصل إليه السالك بصدق مجاهدته، وعلو همته .** [٦٨]

هذا ويرجع اختلاف الصوفية في تحديد المقامات إلي أمور منها : أن الواحد منهم يتحدث عما عاينه هو من مقامات الطريق، ومنها أن بعضهم يُجمِل، والبعض يُفَصِّل في تلك الدرجات ... وأخيرا فهناك من لا يفرق بين الأحوال والمقامات، فيذكرهما معاً تحت باب المقامات، علي اعتبار أن الحال قد ينقلب فيصير مقاماً . [٦٩]

هذا عن المقامات ... أما الأحوال فهي تلك الحالة النورانية التي تشرق علي قلب السالك حيناً، ثم لا تلبث أن تزول مسرعة، فيأتي الحال بعد الحال كتجليات متواترة لا تهدأ، ولا تفتأ تنتقل بالسالك من معاينة لأخرى، وليس لصاحب الحال تصرف في أحواله، وإنما الأحوال فيه بهجومها عليه دون مقدمات ولا اجتلاب منه، وهن هنا يري في كلام الصوفية تعبير : طوارق الأحوال . ومطلق كلمة حال إذا وردت عن الصوفية، **فالمراد منها واحد من المعاني الثلاثة الآتية :**

١ - **الحال بمعني ما يتجلي علي قلوب السالكين من أنوار الطريق .. ومن ذلك قول الجُنيد : الحال نازلة تنزل بالقلب فلا تدوم.** [٧٠]

٢ - **الحال بمعني ما يثمر المقام من سلوك وأخلاق وأعمال ظاهرة وباطنة، أعني بالجوارح والقلب .. ومن هنا قال الغزالي : لكل مقام علم، وحال، وفعل .** [٧١]

٣ – **الأحوال بمعني المراتب الروحية الممتدة بين بدء المقام ونهايته، فهي درجات فرعية بين الدرجات الأصلية .. وإلي هذا أشار صاحب التعرف بقوله : لكل مقام بداية ونهاية، وبينهما أحوال متفاوتة .** [٧٢]

---

(66) سورة الإسراء : الآية ٧٩ .

(67) يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، مرجع سابق، ص ٧٥ .

(68) ماسينيون، مصطفي عبد الرازق : التصوف، طـ ١، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ١٩٨٤، ص ٣٦.

(69) المرجع السابق، ص ٧٠ .

(70) القشيري : الرسالة القشيرية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٩ ه، ص ٣٤ .

(71) الغزالي : إحياء علوم الدين، جـ ٤، دار الندوة الجديدة، بيروت، ص ٦٢ .

(72) الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمود النواوي، طـ ٢، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ، ص ١٠٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأحوال عند أهل الطريق – كالمقامات – عديدة، ولا تكاد تقع تحت الحصر، فمنها الهيبة والأنس بالله، والقبض، والبسط، والطرب، والحزن، والشوق، والوحشة، وكلها كما نري : متقابلة . [٧٣] وكان **الإمام الجيلاني** قد جمع في الغُنية أصول الأحوال والمقامات في سبعة (**المجاهدة – التوكل – حسن الخلق - الشكر – الصبر – الرضا – الصدق** .) وجعلها أساس الطريقة . [٧٤] فإذا بني المريد أمره علي غير هذه الأسس ... فلابد وأن تقع حيطانه . [٧٥]

علي أن هذه الأحوال والمقامات إنما هي من صميم الإسلام الذي يحترم الفطرة الخاصة للإنسان يقول **محمد الغزالي** : " إن الإسلام يحترم الفطرة الخاصة، ويري تعاليمه صدي لها، ويحذر الأهواء الجامحة، ويُقيم السدود في وجهها، والعبادات التي أمر بها فهي، تدعيم للفطرة، وترويض للهوي، لن تبلغ هذه العبادات تمامها وتؤدي رسالتها إلا إذا كانت كلها روافد؛ لتكوين الخُلُق العالي، والمسلك المستقيم " [٧٦]

الإخلاص:

الإخلاص وثيقة اعتماد يمنحها الله القلوب الطاهرة، فهي وثيقة سحرية تجعل القليل كثيَراً، والضحل عميقاً، والعبادات والطاعات المحدودة غير محدودة؛ حتى يستطيع الإنسان بوساطتها أن يطلب أغلى ما في سوق الدنيا والآخرة . ويتمكن بفضلها أن يقابل بالاحترام، والتوقير رغم كثرة الطالبين؛ ولأجل هذه القوة الخفية للإخلاص، ينادي الرسول صلي الله عليه وسلم الناس أَخْلِصْ دِينَك يَكْفِك القَلِيلُ مِنَ العَمَل .

الإخلاص عند الصوفية إنما يكون في عبادة الفرد وطاعته، هو كفه عن كل ما هو خارج عن أمره تعالى وإرادته وإحسانه، لذلك يقول **ابن القيم** عن الإحسان : " **منزلة الإحسان هي لُب الإيمان، وروحه وكماله، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل، فجميعُها منظومة فيها** . " [٧٧]

---

(73) يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، مرجع سابق، ص ٧٧ .

(74) الجيلاني : الغنية لطالبي طريق الحق، تحقيق فرج توفيق الوليد، جـ ٣، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٣٢١ .

(75) الجيلاني : الفتح الرباني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأخيرة، ص ٢٤٤ .

(76) محمد الغزالي : خلق المسلم، طـ ٢، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٨ .

(77) أبو الفرج عبد الرحمن بن القيم الجوزي : صفة الصفوة، تحقيق طارق محمد عبد المنعم، دار ابن خلدون، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص ٤٨١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإخلاص عند الصوفية إنما يكون بحفظ الأسرار التي بين العبد، والمعبود .. وقيامه بأعماله على أساس عرضها على البصيرة الناقدة. وبتعبير آخر : هو قيام العبد بواجباته ومسؤولياته؛ لأن الله أمر بها، وابتغاء رضاه لدى أدائه لها، وتوجهه لألطافه الأخروية، لذا عُدّ من أهم صفات صفوة الصفوة الصادقين فالوفاء الصادق أُولى الأوصاف التي يتحلى بها تعالم الأنبياء عليهم السلام . فهم منذ الولادة مُنحوا الإخلاص الذي يحاول غيرُهم الحصول عليه طوال حياتهم . والقرآن الكريم يذّكرنا بذلك لدى ذكره إخلاص نبيه موسي عليه السلام، بقوله - سبحانه وتعالي - : ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ﴾ (٧٨) فبالإخلاص مع الإحسان تكون درجات القرب من الله تعالي عند الصوفية . يقول **سعيد حوي** : " **فالمحسنون من أحسنوا مع الله في العبادة، ومع خلق الله في المعاملة** . " (٧٩)

الصدق:

الصدق خُلق عالي المعاني، يحتاج له المسلم في حياته، ويجب الالتزام به " وهو مطابقة القول للحقيقة، كما ينبغي مطابقته للشيء الذي هو أخفي في الضمير . " (٨٠) يقول **الراغب الأصفهاني** : " الصدق مطابقة القول للضمير والمُخْبَر عنه . " (٨١)

الصدق أقوم طريق موصول للحق سبحانه، والصادقون هم المرشحون المحظوظون لهذا الوصال ... الصدق روح العمل ولبّه، وأصوب محك؛ لاستقامة الفكر.. وبالصدق يتميز أهل الإيمان من أهل النفاق، وسكان الجنان من أهل النيران .. الصدق صفة نبوية لمن ليسوا بأنبياء. وبفضل هذه الصفة يبلغ الخدمة مرتبة المشاركة مع السادة في النعم نفسها ." والمسلم لا ينظر إلي الصدق كخُلق فاضل يجب التخلق به لا غير، بل إنه يذهب إلي أبعد من ذلك، يذهب إلي أن الصدق من متممات إيمانه، ومكملات إسلامه، إذ أمر الله تعالي به، وأثني علي المتقين به، كما أمر به رسوله صلي الله عليه وسلم وحث عليه ودعا إليه . " (٨٢) وقد أثنى الله - سبحانه وتعالي - على من لبى نداء هذه الرسالة الإلهية في أول ظهورها وصدّق بها، وصدّق مُبّلغها، بصفته الصدق، وذلك في قوله تعالى : ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ (٨٣)

---

(78) سورة مريم : الآية ٥١ .
(79) سعيد حوي : جند الله ثقافة وأخلاقاً، طـ ٣، مطبعة دار التراث العربي، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢٥٤ .
(80) محمد أحمد الأطرش : حقيقة التقوي وطرق الوصول إليها، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص ١٦٤ .
(81) الراغب الأصفهاني : مفردات الفاظ القرآن، دار العلم للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٢، ص ٤٧٨ .
(82) أبو بكر الجزائري : منهاج المسلم، طـ ٨، دار فينوس للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٤٥ .
(83) سورة الزمر : الآية ٣٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصدق هو أن يصون الفرد تكامل عمله وسلوكه، وأن يقول الحق حتى في مواطن الهلاك؛ لئلا يقع في مباينة السر والعلانية، والظاهر والباطن . وإن وقع فيها قضاءً وقدراً، يضطرب متلوياً ومتقلباً من حال إلى حال؛ كي يتطابق فكره مع عمله وتصرفه . فالصدق يرتبط بالإخلاص " **فالإخلاص هو لُب كل قول وفعل** . [٨٤]

إن أدنى مراتب الصدق هو استواء السر والعلانية، والباطن والظاهر في الأحوال كلها. تليها مرتبة الصدق في : الشعور، والتفكر، والتصور، والنيات .وعلى هذا فالصادقون هم أبطال لا يحيدون عن الصدق والاستقامة في جميع أقوالهم وأحوالهم . والصديقون هم أولياء الحق -حقاً - مسددون نحو الحق في خيالهم وتصوراتهم، ومشاعرهم، وتفكيرهم، بل حتى في ملامحهم وسيماهم . إن توجيه جميع الملكات، في: السلوك، والعزم، والوفاء، والعمل، والتعامل، هو صدق كامل ووفاء خالص، وصفة نبوية في الوقت نفسه، حتى يقول الله بحقهم في كتابه المبين : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ﴾ [٨٥] ملفتاً النظر إلى هذا الوصف الرفيع الصدق، إذ الذكر مطلقاً يُصرف إلى كماله .

الصدق يتقدم جميع صفات الأنبياء العظام عليهم السلام، فالصدق سيف الله في أرضه .[٨٦] وهو أقوى محرك ومؤثر في مسلك الدعوة إلى الإيمان، كما أنه أوثق بطاقة اعتماد في العالم الآخر لكل مؤمن، وأنفذ وثيقة ومستند له . لذا يلفت ربنا الجليل نظرنا إلى هذه الحقيقة بقوله – سبحانه تعالى - : ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ [٨٧]

الصدق أوصل الأنبياء والأصفياء والمقربين إلى أعلى عليين، وذروة سنام القمم، وغدا لرقيهم المعنوي برقاً وبراقاً، والكذب هو الذي أردى بالشيطان وأعوانه إلى أسفل السافلين . والأفكار إنما تحوم بأجنحة الصدق فتبلغ أفق القيم والجدارة . وأنواع السلوك القويم إنما تنشأ وتترعرع في أرض الصدق والوفاء . يقول **محمد الغزالي** : " ومن هنا كان الاستمساك بالصدق في كل شأن، وتحريه في كل قضية، والمصير إليه في كل أمر حكيم، دعامة في خلق المسلم، وصبغة ثابتة في سلوكه، وكذلك كان بناء المجتمع، في

(84) يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، مرجع سابق، ص ٩٦ .
(85) سورة مريم : الآية ٤١ .
(86) الجيلاني : الفتح الرباني، مرجع سابق، ص ٨١ .
(87) سورة المائدة : الآية ١١٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلام، قائماً علي ترك الظنون، ... فإن الحقائق الراسخة وحدها هي التي يجب أن تظهر وتغلب، وأن تعتمد في إقرار العلاقات المختلفة . " [٨٨]

وقد ربط القرآن الكريم بآياته المختلفة، كون المؤمن مؤمنا حقاً، بمدى تنسيقه لكلامه، وسلوكه، وعالمه الداخلي بل جميع أطواره وفق الصدق . وكذلك أكدت الآيات الكريمة أن هذا التنسيق والتنظيم هو أساس سعادة الدنيا والآخرة . وهذه بعض الجواهر البراقة من بيان قيمة الصدق في القرآن الكريم بقوله – سبحانه وتعالي - :

﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ [٨٩]

﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ [٩٠] ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ [٩١] ﴿ إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ [٩٢]

لقد أشارت هذه الآيات الكريمة وبهذه العناوين : مدخل الصدق، مخرج الصدق، لسان الصدق، قدم الصدق، مقعد الصدق، إلى الطريق القويم الممتد من الدنيا إلى العقبى . وما كان ذلك إلا كما قال **القاسمي** : بإعطاء كل ذي حق حقه . " [٩٣] أشارت إلى زاد الطريق، وإلى نتيجة الطريق . وبما أن الدنيا كلها تعمل للآخرة كنظام مهيب، وكمعمل عظيم، فهم عندما يباشرون بعمل، ويسافرون إلى بلد، أو يهاجرون إلى موطن، أو يحلون في أرض، يتحرون الصدق في جلوسهم، وقيامهم، ويلاحظون في أطوارهم، مدخل الصدق، مخرج الصدق، لسان الصدق، قدم الصدق، مقعد الصدق . فيعيشون مستهدفين الآخرة مستمطرين الألطاف على حظوظهم .

الشكر:

" وردت أصول الشكر في العديد من الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، وهو عند **الإمام الجيلاني**، الاعتراف بنعمة المنعم، علي وجه الخضوع له، والثناء علي المحسن بذكر إحسانه . " [٩٤] وهذا مطلق الشكر، أما الشكر لله فيتضمن عن **الإمام الجيلاني** أمرين :

---

(88) محمد الغزالي : خلق المسلم، مرجع سابق، ص ٣٥ .
(89) سورة الإسراء : الآية ٨٠ .
(90) سورة الشعراء :٨٤ .
(91) سورة يونس : من الآية ٢ .
(92) سورة القمر : الآيتان ٥٤ – ٥٥ .
(93) محمد جمال الدين القاسمي : تفسير القاسمي المسمي محاسن التأويل، جـ ٥، طـ ١، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٤٧٢ .
(94) الجيلاني : الغنية لطالبي طريق الحق، تحقيق فرج توفيق الوليد، مرجع سابق، ص ١٣٤٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأول : الاستعانة بالنعم علي الطاعات، ومواساة الفقراء .

الثاني : الاعتراف بالنعمة والشكر عليها لمُنزلها، وهو الحق عز وجل . [٩٥]

الشكر بالقلب هو معرفة جميع النعم الظاهرة والباطنة المنتَفع بها، من الله تعالى، ومن ثم توجيه الحياة وإقامتها وفق هذا المفهوم . وهذا الشكر القلبي في الوقت نفسه يؤسس الشكر الذي يؤدى باللسان والجوارح، كما هو مضمون الآية الكريمة : ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ [٩٦] التي تبين أبعاده النوعية، وقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾ [٩٧] التي تشير إلى أبعاده الكمية اللامتناهية .

أما الشكر بالجوارح فهو استعمال كل عضو وكل لطيفة وفق الغاية التي خُلقت لأجلها، وأداء ما يخصّ كلاً منها من العبودية والطاعة . ولقد أمر الله - سبحانه وتعالي - في كلامه الجليل، بالشكر في مواضع كثيرة، وعده غاية الأمر والخلق كما في قوله تعالي: ﴿ فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ [٩٨] ووعد الشاكرين بالجزاء الحسن، وتوعد العاقين بالعقاب . كما في قوله تعالى : ﴿ وسيجزي الله الشاكرين ﴾ [٩٩] وكذلك قوله تعالي : ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [١٠٠] زد على ذلك فقد أطلق الله- سبحانه وتعالى - على نفسه اسم الشكور، وربط سبيل بلوغ المنبع الأصل للنِعم كلها بالشكر، وأثنى على من له القدح العلّي في الشكر **سيدنا إبراهيم** في قوله – سبحانه وتعالي - : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [١٠١] وعلى **سيدنا نوح** : بقوله تعالي : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا ﴾ [١٠٢] وعلاوة على ذلك يمكن أن نَدرس الشكر - **من وجهة نظر الباحث** - من حيث الخصائص التي تشكله إلي ما يلي :

---

(95) ..... : الفتح الرباني، مرجع سابق، ص ٧٨ .
(96) سورة لقمان : من الآية ٢٠ .
(97) سورة النحل : الآية ١٨ .
(98) سورة آل عمران : من الآية ١٢٣ .
(99) سورة آل عمران : من الآية ١٤٤ .
(100) سورة إبراهيم : الآية ٧ .
(101) سورة النحل : الآيتان ١٢٠ – ١٢١ .
(102) سورة الإسراء : الآية ٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١ - **شكر تجاه ما ارتضاه الجميع من نِعم، العوام منهم والخواص، المسلم وغير المسلم . فيحبونها ويرغبون فيها .**

٢ - **شكر تجاه ما يبدو غير محبوب ظاهراً، أي وجهه الظاهري ثقيل كريه، وإيفاء هذا النوع من النعم حقه من الشكر عسير، إلا من يستطيع أن يطَّلع على ما وراء ستار الأحداث، فهو لطف إلهي، يتلون صاحبه بألوان من الرضى والقبول.**

٣ - **شكر الذين يقضون حياتهم في مدار الحب،** فلا ينظرون إلى النعم إلا من زاوية المنعم، بإحساسهم ألطافه وآلائه بعظمته - سبحانه وتعالي - ويحيون في الحظوظ العميقة للشهود .. فعبوديتهم ترنيمة أخرى للذوق، وحياتهم القلبية طوفان آخر للعشق والشوق، وعلاقتهم مع الحق- سبحانه - في حظوظ الشهود العميقة ضمن نظام تمكين آخر . فهؤلاء يقيدون الموجود، ويصيدون المفقود. ويتلونون في كل آن بألوان الفيوضات المقدسة، والقدسية التي كسبوها، و يسبرون الأعماق في طريق سيرهم . ويقذفون بشِباك النظر؛ لاقتناص الواردات، فيصيدون ويفيضون.

الصبر:

من أصول الصبر عند الصوفية وكما ذكرها **الإمام الجيلاني**، قول الله تعالي : ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ [١٠٣] وقوله تعالي : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[١٠٤] وقوله تعالي : ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾[١٠٥] " فالقرآن الكريم يدعو المؤمنين إلي التحلي بالصبر، لما فيه من فائدة عظيمة في تربية النفس، وتقوية الشخصية، وزيادة قدرة الإنسان علي تحمل المشاق " [١٠٦] قال **أبو السعود**: " إنه من يتق أي يفعل التقوي في جميع أحواله، أو يَق نفسه عما يوجب سخط الله – تعالي - وعذابه . ويصبر علي المحن أو علي مشقة الطاعات، أو عن المعاصي التي تستلذها النفس . فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، أي أجرهم، وإنما وضع المُظهَر موضع المُضمَر تنبيهاً علي المنعوتين بالتقوي، والصبر، موصوفون بالإحسان."[١٠٧]

---

(103) سورة النحل : الآية ١٢٧ .
(104) سورة آل عمران : الآية ٢٠٠ .
(105) سورة يوسف : من الآية ٩٠ .
(106) محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٢٩٧ .
(107) أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم، طـ ٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤، ص ٣٠٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول **عفيف طبارة** : " فالصابر يتلقي المكاره بالقبول، ويراها من عند الله، وعند التأمل نري العناية الإلهية تسوق إلينا الشدائد؛ لحكمة عالية، والجاهل هو الذي يضجر، ويحزن، ويكتئب، أما العاقل فيلتمس وجوه الخير فيما يبتليه الله به من الشدائد، ولولا الصبر لانهارت نفس الإنسان من البلايا التي تنزل عليه؛ ولأصبح عاجزاً عن السير في ركب الحياة، ولأصبح في حالة يكفر فيها بالقيم الأخلاقية فضلاً عن أنه عنصر شر لا نفع فيه."[١٠٨]

وحقيقة الصبر كما يراها **الشطنوفي**، تتمثل في الوقوف مع البلاء بحُسن الأدب، والثبات مع الله عز وجل، وتلقي من قضائه بالرحب والسعة علي أحكام الكتاب، والسنة[١٠٩]. هذا، وينقسم الصبر، من حيث ما يصبر عليه، إلى الأقسام الآتية [١١٠]:

١ - **الصبر على أداء الطاعات**، بمعنى تحمل مشاق العبودية لله .
٢ - **الصبر عن اجتناب المعاصي**، أي تجاه ما تحن له النفس من وسائل الإثم .
٣ - **الصبر على البلايا الأرضية والسماوية**، والذي يتضمن الرضا بقضاء الله، وقدره[١١١].
٤ - **الصبر على نهج الاستقامة والحفاظ عليه دون تغيير وتبديل**، تجاه مفاتن الدنيا .
٥ - **الصبر على الزمن فيما يحتاج إلى زمان ووقت.**

بعض هذه الأقسام متعلقة بإرادة العبد، أي كسبية إلا أن البعض الآخر لا دخل للإنسان فيه قطعاً .

ولقد بُحث الصبر ضمن ستة أقسام من حيث كيفيته، وتحققه :

١ - **الصبر لله**، أي لأجله تعالى، وهو أولى مراتب الصبر .
٢ - **الصبر بالله**، أي العلم بأنه تعالى هو المصبِّر، وهو أسبق بخطوة من الأولى .
٣ - **الصبر على أحكام الله**، بعدم الاستعجال تجاه التجليات الجمالية، والجلالية للحق تعالى، قائلا : لله في كل شيء أسرار وحكم .

---

(108) عفيف طبارة : روح الدين الإسلامي، دار القلم للملايين، بيروت، ١٩٨٨، ص٢١٣ . وكذلك :
- محمود بن الشريف : الحب في القرآن، طـ ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، ص ١٠٩ .
(109) الشطنوفي : بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، دار الكتب العربية، القاهرة، ١٣٣٠ ه،ص ١٢٣ .
(110) يوسف محمد طه زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، مرجع سابق، ص ٩١ .
(111) يوسف القرضاوي : الصبر في القرآن، طـ ٣، مكتبة وهبة، ١٩٨٩، ص ٣٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤ - **الصبر في الله**، أي استواء القهر واللطف في الطريق إلى الله، لا يفرق بين حال النعمة والمحنة، لهذا كان الصبر ميزة خاصة، ويسبق الأقسام الأخرى .

٥ - **الصبر مع الله**، أي البقاء معه تعالى مع مراعاة أسرار المقام الذي هو فيه من حيث خصوصية المعية والقرب .

٦ - **الصبر عن الله**، وهو صبر عشاق الحقيقة، الذين عزموا على التحمل عن الوصال . هذا وقد تحقق الصوفية بهذا المقام، وكانت لهم في ترك الشكوى، والصبر علي البلاء تحير الألباب .[١١٢]

الرضا:

" الرضا منبع مهم للاطمئنان سواء في الدنيا، أم في الآخرة. ولا يعني هذا أن الذين بلغوا هذه المرتبة قد تخلصوا كلياً من الآلام، إلا أن أبطال الرضا يتلقونها رحمة، فتُقْلَب السموم التي يتجرعونها ترياقاً، والمَشَاق التي يتعرضون لها تبادل عشق بين محبوبين، وموادَّةٌ رابحة بينهما . للعبد فيما يكره درجتان، درجة الرضا، ودرجة الصبر، فالرضا فضل مندوب إليه، والصبر واجب على المؤمن حتماً، والفرق بين الرضا والصبر، أن الصبر حبس النفس وكفها عن السخط مع وجود الألم، وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك زوال الألم وان وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخفف بما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا يزيل الإحساس بالألم كلياً . " [١١٣]

إن طريق الرضا في الحقيقة أقصر الطرق وأكثرها أمناً، رغم ما فيها من مصاعب ومشاق . والأمر هكذا، سواء كان السالك مندفعاً من جهة إلى أخرى بكل قواه ونشاطه، أو مطالعاً الكون كتاباً مفتوحاً أمامه، وهو يتنفس أنفاس الحق – تعالى- في كل شيء . إن الغفلة عن الرضا توقع بالقلب في ظلمة الطمع، فيصير القلب فارغاً . [١١٤] والرضا صورة مقرونة بالعفو والتسامح، فما ورد من سيرة الصحابة والتابعين، منهم **الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز**، الذي قيل عنه عندما أخبرنا **أحمد بن أبي إسحاق** قال : حدثنا **عمر بن حفص**، قال : لما ولي **عمر بن عبد العزيز** خرج ذات ليلة ومعه حرس فدخل المسجد فمر في الظلمة برجل نائم فتعثر به، فرفع الرجل رأسه إليه وقال : أمجنون

(112) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، جـ ٤، دار الندوة الجديدة، بيروت، ص ٣٩٨ .
(113) أحمد فريد : تزكية النفوس وتربيتها بما يقرره علماء السلف، ابن رجب الحنبلي، ابن القيم، أبي حامد الغزالي، تحقيق ماجد بن أبي الليل، طـ ١، دار القلم بيروت لبنان، ١٩٨٥، ص ١٠٦ .
(114) الجيلاني : الفتح الرباني، مرجع سابق، ص ١٢٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنت ؟ قال لا . فهم به الحراس، فقال **عمر بن عبد العزيز** : مه إنما سألني أمجنون أنت ؟ فقلت له : لا .[١١٥]

يقول **عبد الله علوان** : " ما هذا الخلق العظيم من العفو، والصفح، والتسامح، والحلم ... إلا بفضل ما اقتبسوه تأسياً من أخلاق الداعية الأول صلي الله عليه وسلم، وبفضل ما امتثلوا به من توجيهاته الكريمة؛ حتى تسمو أخلاق السوقة والعبيد، وتتميز مكارمهم من مكارم الخاصة والعامة . " [١١٦] ونتيجة الرضا سرور وانشراح ساحر يهب من رضا الرب الجليل، يتناسب طردياً مع عظم آمال الإنسان ورجائه . فهذا ليس ذوقاً يحصله القرب، ولا لذة تشعرها العبادات والطاعات، ولا تلذذا وجدانيا نابعاً من الصراع مع الآثام، بل هو حلاوة روحانية ملونة بالأمل، وعمق الرجاء، ومطبوعة بالتمكين والحذر .. فهو نفحة رحمة، وتوجه خاص منه- تعالى - مباشرة إلى مقام الرضا . ومرتبة الرضا، من حيث إنها توجه النظر جميعه إلى الحق – تعالى- فإن اتخاذها وسيلة للأذواق واللذائذ والحظوظ أو أنواع من الاستشفاف، وفي الحقيقة يصح أن نرى الشيء نفسه في جميع الأحوال والمقامات التي ذكرناها ضمن الأعمال القلبية . نعم، إن حبه سبحانه، وترقب رضاه في كل الأحوال، ينبغي أن يكون؛ لأجله وحده وليس لأي سبب من الأسباب . [١١٧] فالآية الكريمة تنادي علي النفس المطمئنة : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ [١١٨] تتضمن المراتب كلها وهي بماهية جواب على الأمور التي تتوجه إلى جميعها تقريباً .هذا ويفهم من هذه الآيات الكريمة أن بلوغ مرتبة الرضا مقيد بتوجه النفس إلى الله تعالى، هذا التوجه لا يقيم باعتبار علاقتنا بالزمان والمكان، وأبعادنا الدنيوية والأخروية، بل بتجلي الحق – سبحانه- وتوجهه الذي يسمو على الأزمان والأمكنة . ولهذا يصح أن نقول كما قال **الجيلاني** : **إن هذا التوجه سيتجلى بأبعاد اللُّطف . ففي الدنيا بالتوكل والتسليم والتفويض .. وفي أثناء الوفاة باطمئنان القلب والانبساط إلى الرب الجليل .. وما بعد البعث بأخذ مكانته بين عباد الله الصالحين ودخول الجنة** . [١١٩]

---

(115) محمد بن سعد : الطبقات الكبري، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص ٣١٠.

(116) عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد في الإسلام، طـ ٦، دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٨٣، ص ٣٦٨.

(117) زكي مبارك : التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، جـ ١، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٢٦٥ .

(118) سورة الفجر : الآيات من ٢٧ – ٣٠ .

(119) الجيلاني : فتوح الغيب، طـ ٢، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ، ص ص ٩٢ – ٩٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الخامس : التصوف الإسلامي بين الرأي، والرأي الآخر .

يُعد التصوف الإسلامي ثروة روحية عُظْمَى، ليس فقط على مستوى الحضارة الإسلامية، بل على مستوى الحضارات العالمية جمعاء، لذلك فهو مؤهَّل لكي يكون مجالاً مفتوحاً للتلاقي بين الحضارات والأديان العالمية . ومن هنا يُعد ظاهرَة دينيةً، تتسم بالعالمية، فلا تتقيد بحدود الزمان والمكان، والأجناس واللغات والأديان، أو الدوائر الحضارية "فلا وطن لها ولا تاريخَ ميلاد . " [١٢٠] وإن كان هناك من يري أن التصوفَ يميل إلى عزل الحياة عن الدين، فعندما تُذكَر كلمة تصوف في الأوساط الثقافية، يُنظَر إليها بشيء من الريبة والشك، وربما ربطها البعض بالتخلف والشعوذة، وربما أخرجها البعض عن دائرة الإسلام، وربما اعتبرها البعض موروثاً قديماً لا قيمة له، ولا حاجة لنا إليه . إلا أن **الباحث** يري أن التصوف يمثل روح الإسلام وسياجه القوي أمام جميع التحديات . إن هذه النظرات قد تناست العديد من الأمور، من أهمها : أنها تناست إسهام التصوف في كافة المجالات الثقافية، التي قدمها المتصوفة المسلمون على مدار العصور الإسلامية، كما تناست دور التصوف في نشر الإسلام في شتى بقاع العالم . وتناست - أيضاً - دور التصوف المهم من الناحيتين : الأخلاقية، والروحية . كما أن النزعة الصوفية بصفة عامة تسمح بإتاحة الفرصة للحوار والعيش مع الآخر، كما أنها ترفض أي نوع من التشدد الذي يؤدى إلى التعصب .

إننا نعيش الآن في عالم أصبحت تسيطر عليه المادية المتطرفة، وظهرت فيه نماذج من التيارات الدينية المتشددة، وظهر فيه الاهتمام بالشكليات دون الجوهر، فليس من الغريب أن يُهمَّش التصوف وسط هذه الماديات التي أصحبت مع الأسف معيار القيم لدينا، ووسط التيارات الدينية المتطرفة التي باتت تستغل كافة المشاعر الدينية لدى البسطاء . " لقد نجح التصوف في الماضي، في كبح جماح الأهواء، والشهوات، وفي تزكية النفوس، والأخلاق، فلنترك اسمه، إذا كنا نتأذى منه، ولنأخذْ منهجه الذي وضعه؛ لتربية النفوس، وتزكية الأخلاق، بعد أن نصفيه مما يعتريه من شوائبَ ومخالفاتٍ، ولنستفيد منه في إعادة تهذيب مجتمعنا، وتربية أبنائنا . " [١٢١]

---

(120) James، William. The Varieties of Religious Experience، New York: Doubleday & Company، Inc، 1978، p.370

(121) عبد الرازق الكيلاني : الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، مرجع سابق، ص ١٥٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وممن اتخذ موقفاً إيجابياً تجاه حركة التصوف، المستشرقة الألمانية العظيمة **آنا ماري شيمل** .[١٢٢] التي وجهت عنايتها بالبحث في مجال الدراسات الإسلامية، والحضارة، والتصوف . كانت تنظر إلى الدين الإسلامي علي أنه دينُ : عدل، وسماحة، وأخلاق . شغفت **أنا ماري شيمل** بالإسلام، ووجدت جاذبيةً في التصوف، فآثرت الطريقة للتربية الروحية، ووجدت في التصوف الإسلامي الحق؛ لخلاص الروح من أثقال الجسد، فتعهدت نفسها به . فتقول : " إن التصوف هو أكبر تيار روحي يسري في الأديان جميعها، إنه إدراك الحقيقة المطلقة، سواء سميت هذه الحقيقة حكمة، أو نور، أو عشق، أو عدم . "[١٢٣] وترى أنه يعود الفضل إلى الصوفية الخالصة من الشوائب في أسلمة بلدان عدة مثل : الهند، وأجزاء من أفريقيا، حيث دعوا إلى المبادئ البسيطة للإسلام بنموذج الحب، من دون التطرق إلى : مسائلَ معقدةٍ، ودينية، وفقهية . فللمذهب الصوفى أثرٌ كبيرٌ فى ثقافة العالم الإسلامى . فالصوفية عمقت الرسالة الأساسية للإسلام بالدفء، والمشاعر الإنسانية، وفتحت القلوب للجمال الإلهي .

إن هناك إجماعٌ واسعٌ على أن التصوف الإسلامي له أصالة واضحة في الدين الإسلامي . **غير أن هناك وجهة نظر أخري تري أن** مذاهب الصوفية إن كانت تُرَدُّ إلى مصدر إسلامي . إلا أنه بمرور الوقت، وبحكم التقاء الأمم، واحتكاك الحضارات، تسرب إليها شيءُ من المؤثرات المسيحية، أو غير المسيحية . إنّ فهم العلاقة التي ربطت التصوّف الإسلامي بالثقافات والديانات الأخرى قضية فكرية مازالت مطروحة إلى الآن، ينشغل بها الباحثون في: الدراسات الصوفيّة، وعلم الأديان المقارن . كلّ يتناولها من الزاوية التي توافق سياق عنايته وتساعده على تحصيل نتائج ذات جدوى في حقل بحثه . يقول **المستشرق هاملتون جب** : " إن التصوف ابتُعِث عن طريق الاتصال بالتصوف المسيحي والغنوصية . * "[١٢٤]

---

(122) ولدت في عام ١٩٢٢ م، ودرست وتعلمت في برلين في قسم الدراسات العربية والإسلامية، وعملت أستاذة في العلوم الإسلامية بجامعة أنقرة وأستاذة كرسي في تاريخ الأديان بجامعة بون وكمبريدج، ومحاضرة زائرة في الجامعات الأمريكية وفي معهد الدراسات الإسماعيلية بلندن، وحازت على أوسمة متعددة من الحكومات والدول التي حاضرت بها . توفيت يوم الثلاثاء ٢ / ١ / ٢٠٠٣، عن عمر يناهز الثمانين عاماً .

(123) آنا ماري شيمل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، طـ ١، ترجمة محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب، منشورات الجمل، ٢٠٠٦، ص ٧ . من مقدمة الكتاب . وكذلك :

- ..... : الجميل والمقدس، طـ ١، تحقيق وترجمة عقيل يوسف عيدان، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ٢٠٠٨ .

* الغنوصية كلمة يونانية تعني المعرفة، وهو مذهب إشراقي باطني، نشأ يلفق بين الأفكار ويحمل شعار المعرفة ويقرر أن النجاة من عالم الرجس، والضلال لا يتم إلا به، فهو وحي متجدد لا يُمحى أثره، ولا ينتهي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويري الباحث : إن جملة هذه النظريات بعيدة عن الموضوعية، فضلاً عن ذلك فإنّ هذه النظريات كانت نتيجة حتمية تولّدت عن الموقف العام للمستشرقين القدامى ممن انطلقوا في تقييمهم للتراث العربي الإسلامي عموماً، من نقطة بدء خاطئة تجانب أصل الموضوعية وتقوم على التنكّر التام لماضي الأمة، والاستخفاف بمقوّماتها الحضارية، ومنجزاتها الفكرية، فعلينا أن لا ننخدع بمثل هذه الآراء الداعية إلي وجود آثار أجنبية في كلّ ناحية من نواحي التصوّف الإسلامي .

وأخيراً : فمهما اختلفت الآراء، وتضاربت المواقف، إزاء التصوف الإسلامي، فلا أحد يمكنه إنكار منهجه، أو تجاهله، وإلا فقد أهمل تُراثاً، حضارياً، عظيماً من الحياة، والفكر، والفن . أثرى التاريخ الإسلامي ثراءً متميزاً . فالتصوف ليس مذموماً كله، وليس محموداً كله .

فيضه، لذا وجدت النفوس الضعيفة في الغنوص رضا حاجتها، فانقادت وراءه معجبة بحسن معرفته، لا تدري أن بباطنه ناراً ذات لهب، ولما شاع بفكره واعتنقه كثير من عامة الناس وخاصتهم، أخذ يكشف عن باطنه شيئاً فشيئاً مُظهرا وجهه القبيح داعياً إلى الانحراف، مقوضا للعقائد . للمزيد، هاينس هالم: الغنوصية في الإسلام، ترجمة رائد الباش، دار الجمل، ألمانيا، ٢٠٠٣ .

(124) هاملتون جب : في النظم والفلسفة والدين، المركز العربي للكتاب، دمشق، بدون تاريخ، ص ٩٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نتائج الدراسة .

بعد أن تناول الباحث أهم القضايا الأساسية، الخاصة بأثر منهج الصوفية في بناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية دراسة تحليلية، خرج من بحثه هذا ببعض النتائج، يـــري أن من أهمها :

١ - **أظهرت الدراسة** أن السلوك الصوفي إيجابي فعال، خاصة فيما يتعلق ببناء الشخصية الأخلاقية علي أساس القيم الأخلاقية، أما مظاهر الانحراف، والتطرف، والخروج عن الشّرع، والشّعوذة، والدجل، والمكر، والخداع، هي أمور تحسب علي التـــصوف ولا تنتمي إليه .**فقد رأي الباحث** من خلال بحثه أن التصوف في حقيقتـــه مـــرآة للقـــيم الإسلامية في صورتها النقية، وقيمها الروحية .

٢ - **أظهرت الدراسة** أن الاعتقاد بسلبية الأداء الصوفي، وعدم دوره في صنع النهضة ناشئ عن عدم فهم جوهره، والإخفاق في تطبيق مبادئه .إن مهمتَنا الأساسية تجاه التـــصوف تتمثل في : نزع التكلف، والزيف، برسم المبادئ والأصول الموحدة، التي تعمل على تقليص الخلافات . إن القيم الأخلاقية عند الصوفية تُمكن من إحداث نقلة نوعية فـــي هياكل المجتمع، ومنظومته الفكرية والمادية، ليس بمقياس القوة العسكرية فقط، ولكن بمقاييسها العقيدية، وانتمائها الديني .

٣ – **توصلت الدراسة** إلي أن التصوف عامل تقدم وازدهار في المجتمع، بِناء على المبادئ السّابقة من قيم الأحوال والمقامات فالصبر، والرضا، والإخلاص ... وغيرها، لا يتم إلاّ إذا انتقلنا من المفهوم التقليدي له، وفق هياكل وهيئات محددة ومنظمـــة . وكـــذلك إلزامية تحديد القيم الصوفية، وإعادة قراءتها في ضوء المنظومة المعاصرة، وعزلهـــا عن المفاهيم الفاسدة، والقيم السلبية .

٤ - **أظهرت الدراسة** مدي التقاء التصوف مع الإسلام في روحانياته، وإعلائه من الأخلاق كقيمة، وسلوك، ومنهج؛ من أجل تربية الفرد، وإصلاح المجتمع .

٥ – **توصلت الدراسة** إلي أن منهج الصوفية؛ لبناء الشخصية الأخلاقية الإسلامية قد قـــام علي طرق عدة منها : المجاهدة؛ ليتخففَ بها من أسر الحس؛ ليبقـــي عليـــه ارتقـــاء الأحوال والمقامات فيخفق قلبه بدقات طبول القرب لله، وتتجلي له أســـرارُ المحبـــة، فيصير بذلك غريباً من غرباء الدنيا، قريبا من أهل الحضرة الإلهية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦ - **أظهرت الدراسة** أن الأحوال والمقامات إنما هي من صميم الإسلام، الذي يحترم الفطرة الخاصة للإنسان، ويري في تعاليمه صدي لها، ويحذر الأهواء الجامحة، ويُقيم السدود في وجهها، والعبادات التي أمر بها فهي، تدعيم للفطرة، وترويض للهوي، لن تبلغ هذه العبادات تمامها، وتؤدي رسالتَها إلا إذا كانت كلها روافد؛ لتكوين الخُلُق العالي، والمسلك المستقيم .

٧ – **أظهرت الدراسة** مدي اهتمام الصوفية بتزكية النفوس، فاعتنوا بالجانب السلوكي والأخلاقي علماً وفقهاً، كما حققوه عملاً وهدياً، فأفردوا كتباً مستقلة في الزهد، والرقائق .... ونحوهما . ومن هنا كان هناك تلازم بين السلوك والاعتقاد، فالسلوك الظاهر مرتبط بالاعتقاد الباطن، ومن ثم فإن الانحراف الواقع في سلوكنا وأخلاقنا الظاهرة إنما هو ناشئ عن نقص في إيماننا الباطن . وكذلك أظهرت هذه الدراسة من خلال استقراء جملة من القيم الأخلاقية عند الصوفية في السلوك والرقائق أن مصدر تلقي السلوك والأخلاق عند الصوفية هو القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة، فإنهم أهل اتِّباع، وأرباب طريقة أثرية .

٨ - **وأخيراً أظهرت هذه الدراسة إساءة بعض الناس في شتى العصور الإسلامية في فهمهم للتصوف، بعد أن رَأَوْا أُناساً لا يعطون لهذا العلم حقه، فهم المتقاعسين الذين لزموا المساجد والزوايا، وتركوا أهلهم وذويهم، وعاشوا عالة على الآخرين بحجة التصوف، فكانوا نماذَج سيئة لهذا العلم . والحقيقة أن المدارس الصوفية لم تكن كما كانت بتلك الطريقة السابقة، ولذلك فنحن بحاجة ماسة إلى تيار حقيقي يصفي النفوس ويزيل الأدران ويتلقف الشباب، ويشغلهم بأنفسهم . إن جهود العالم الإسلامي كثيرة؛ لمجابهة تلك التحديات، ولابد من استنفار كل الجهد والطاقة، في كافة المجالات؛ لتكون هناك نهضة شاملة يعمل فيها الجميع، كل وفق رغبته، وطاقته؛ لخدمة هذا الدين الحنيف .**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مراجع الدراسة

أولاً : المراجع العربية .

- آنا ماري شيمل : الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، طـ ١، ترجمة محمد إسماعيل السيد، رضا حامد قطب، منشورات الجمل، ٢٠٠٦ .
- ..... : الجميل والمقدس، طـ ١، تحقيق وترجمة عقيل يوسف عيدان، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ٢٠٠٨ .
- إبراهيم مدكور : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، جـ ٢، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦ .
- ..... : في الفلسفة الإسلامية، جـ ١، دار المعارف، ط ٣، القاهرة، ١٩٨٣ .
- أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم، طـ ٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤
- أبو الفرج عبد الرحمن بن القيم الجوزي : صفة الصفوة، تحقيق طارق محمد عبد المنعم، دار ابن خلدون، الإسكندرية، بدون تاريخ .
- أبو الوفي الغنيمي التفتازاني : مدخل إلي التصوف، طـ ٣، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٩ .
- أبو بكر الجزائري : منهاج المسلم، طـ ٨، دار فينوس للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦ .
- أبو حامد الغزالي : جواهر القلوب، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ .
- ..... : إحياء علوم الدين، جـ ٤، دار الندوة الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.
- ..... : معارج القدس في مدارج معرفة النَّفْس، طـ ٢، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٥ .
- أحمد بن محمد عبد الله : رياض أخلاق الصالحين، طـ ١، دار الرسالة، داغستان، محج قلعة، ٢٠١٥ .
- أحمد عمر هاشم : النفس في القرآن، دار الفيصل للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٩٦ .
- أحمد فريد : تزكية النفوس وتربيتها بما يقرره علماء السلف، ابن رجب الحنبلي، ابن القيم، أبي حامد الغزالي، تحقيق ماجد بن أبي الليل، طـ ١، دار القلم بيروت لبنان، ١٩٨٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي العقليون والذوقيون أو النظر والعمل، طـ ٢، دار المعارف، ١٩٨٣ .
- البسطامي : المجموعة الصوفية الكاملة، تحقيق قاسم عباس، دار المدي، دمشق، ٢٠٠٤ .
- الجنيد : رسائل الجنيد، تحقيق أحمد المزيدي، طـ ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ .
- الجيلاني : الغنية لطالبي طريق الحق، تحقيق فرج توفيق الوليد، جـ ٣، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، ١٩٨٨ .
- ..... : فتوح الغيب، طـ ٢، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ .
- ..... : الفتح الرباني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأخيرة .
- الحارث المحاسبي : الرعاية لحقوق الله، دار ابن حزم للنشر، بيروت، ٢٠٠٤ .
- ..... : بدء من أناب إلي الله، نشرها عبد القادر أحمد عطا بعنوان التوبة، دار الإصلاح، دار الاعتصام، ١٩٧٧ .
- ..... : المسائل في أعمال القلوب والجوارح، تحقيق عبد القادر عطا، عالم الكتب، ١٩٦٩ .
- الراغب الأصفهاني : مفردات الفاظ القرآن، دار العلم للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٢.
- السهروردي : عوارف المعارف، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣ .
- الشطنوفي : بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، دار الكتب العربية، القاهرة، ١٣٣٠ ه .
- الطوسي : اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود، جـ ٤، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠ .
- القشيري : الرسالة القشيرية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٩ ه .
- الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمود النواوي، طـ ٢، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ .
- زكي مبارك : التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، جـ ١، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨ .
- سعيد إسماعيل علي : مركزية القضية التربوية في فهم واقع الأمة وأسباب تخلفها، إسلامية المعرفة، السنة الثامنة، العدد ٢٩، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٢ .
- سعيد حوي : جند الله ثقافة وأخلاقاً، طـ ٣، مطبعة دار التراث العربي، القاهرة، ١٩٨٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن الكريم، دار الإسلام، القاهرة، ١٩٧٣ .
- عبد الرازق الكيلاني : الشيخ عبد القادر الجيلاني الأمام الزاهد القدوة، طـــ ١، دار القلم، بيروت، ١٩٩٤ .
- عبد القادر أحمد عطا : التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي، طـــ ١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ .
- عبد الكريم العثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين، طـــ ١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٣
- عبد الله بن علي بصفر : ومضات في تزكية النفس، طـــ ٢، دار نور المكتبات، ٢٠٠٥ .
- عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد في الإسلام، طـــ ٦، دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٨٣ .
- عفيف طبارة : روح الدين الإسلامي دار القلم للملايين، بيروت، ١٩٨٨ .
- قاسم محمد عباس : أبو زيد البسطامي المجموعة الصوفية الكاملة، طـــ ١، المدي للثقافة والنشر، سوريا، ٢٠٠٤ .
- ماسينيون، مصطفي عبد الرازق : التصوف، طـــ ١، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ١٩٨٤ .
- محمد أحمد الأطرش : حقيقة التقوي وطرق الوصول إليها، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٢ .
- محمد الحسن : المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، طـــ ٤، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ١٩٩٨ .
- محمد الصادق إبراهيم عرجون : التصوف في الإسلام منابعه وأطواره، دار وحي القلم، طـــ ١، بيروت، ٢٠٠٤ .
- محمد الغزالي : خلق المسلم، طـــ ٢، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠ .
- محمد بن سعد : الطبقات الكبري، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ .
- محمد جمال الدين القاسمي : تفسير القاسمي المسمي محاسن التأويل، جـــ ٥، طـــ ١، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣ .
- محمد عبد الجواد مغنية : معالم الفلسفة الإسلامية نظرات في التصوف والكرامات، طـــ ٢، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس، طـــ ٧، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١ .
- محمود بن الشريف : الحب في القرآن، طـــ ١، دار ومكتبة الهلال، بيـــروت، لبنـــان، ١٩٨٣ .
- محمود قمبر : نحو رؤية موضوعية للتربية في التراث الإسلامي؛ دراسة تحليلية نقدية، إسلامية المعرفة، السنة الثامنة، العدد ٢٩، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٢ .
- ..... : دراسات تراثية في التربية الإسلامية، الدوحة، دار الثقافة، ١٩٨٥ .
- محي الدين بن عربي : التجليات الإلهية، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٤ .
- ..... : كتاب الأخلاق، مطبعة التقدم، القاهرة، بدون تاريخ .
- ..... : رسالة في تهذيب الأخلاق، تقديم عاصم إبراهيم الكيلانـــي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ .
- ..... : الفتوحات المكية، جـــ ٢، الهيئة المـــصرية للكتـــاب، القـــاهرة، ٢٠٠٦ .
- نحم الدين كبري : فوائح الجمال وفواتح الجلال، تحقيق يوسف محمد طه زيدان، طـــــ ١، دار سعاد الصباح، الكويت، مصر، بدون تاريخ .
- نزار العاني : الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥ .
- نهاد خياطة : دراسة في التجربة الصوفية، طـــ ١، دار المعرفـــة ومطبعـــة الـــصباح، دمشق، ١٩٩٤ .
- هاملتون جب : في النظم والفلسفة والدين، المركز العربي للكتاب، دمشق، بدون تاريخ.
- هاينس هالم : الغنوصية في الإسلام، ترجمة رائد الباش، دار الجمل، ألمانيا، ٢٠٠٣ .
- يوسف القرضاوي : الصبر في القرآن، طـــ ٣، مكتبة وهبة، ١٩٨٩ .
- يوسف محمد طه زيدان : عبد الكريم الجيلي فيلسوف التصوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨ .
- ..... : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، طـــ ١، دار الجيـــل، بيروت، ١٩٩١

ثانياً : المراجع الأجنبية .

- James، William. The Varieties of Religious Experience، New York: Doubleday & Company، Inc، 1978 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com